الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث

« ظاهرة التكفير نموذجًا »

إعداد

د / أحمد عبد الحميد سيد أحمد

كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – جامعة الأزهر

الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث " ظاهرة التكفير نموذجاً "

أحمد عبد الحميد سيد أحمد
قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ahmedabdelhamed٤٨١٩@azhar.edueg

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى مناقشة تيار الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث، وخاصة ظاهرة التكفير على اعتبار أنها تعد من أهم وأخطر مظاهر الغلو والتطرف الاعتقادي التي حاولت أن تهدم النظم الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية في العالم الإسلامي، وغير الإسلامي، ومما يدل على ذلك أن من ينظر في التاريخ الإنساني يسهل عليه أن يلاحظ ويرى ألوانًا من التطرف والغلو، وأن يعرف أن فترات الغلو والتطرف تعد النقاط السوداء في تاريخ البشرية التي أنهكت قواها، وشلت عزيمتها على مر العصور، وحتى اللحظة الراهنة التي نعيش فيها، لذا كان من الضروري الوقوف على هذا التيار السلبي، ومحاولة بيان أسبابه، وعلاجه في ضوء القواعد الإسلامية، والجدير بالذكر أنني قمت أولاً: بعرضٍ مجملٍ لمفهوم الغلو والتطرف الاعتقادي التي تعد القاعدة الأولى التي يجب الانطلاق منها لعرض ظاهرة التكفير، ثم انطلقت منها لعرض ظاهرة التكفير، وجذورها، وأهم مظاهرها، ثم قمت ببيان أثر الغلو والتطرف الاعتقادي قديماً وحديثاً، وأهم الاتجاهات المتطرفة الحديثة التي قامت عليه كالتيار الداعشي المتطرف، مع بيان أسباب الغلو الاعتقادي، وعلاجها، على اعتبار أنها تعد بعينها أسباب ظاهرة التكفير.

وقد كان من أهم النتائج التي توصلت إليها: أن التطرف الفكري والعقدي يعد نتاجاً لاختلال فكر لإنسان وعقله، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهم المسائل

والقضايا العقدية الإسلامية الصحيحة، هذا علاوة على أن الغلو والتطرف الموجود الآن، والذى يتمثل في تكفير المسلمين وقتلهم، وحمل السلاح عليهم، هو بعينه أسلوب ومنهج الخوارج الذين ظهروا قديماً، أو الذين كانوا على عهد الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وقد كان من أهم توصيات البحث: نشر الفكر الإسلامي الوسطى الصحيح بين الشعوب والأمم، مع تكاتف الدول والمجتمعات مع بعضها من أجل التصدي لهذا التيار المنحرف، والقضاء عليه، حتى يعم الأمن والسلام بين الشعوب.

الكلمات المفتاحية: الغلو _ التطرف _ الاعتقادي _ ظاهرة _ التكفير.

Exaggeration and Ideological Extremism in the Modern Age: The Phenomenon of Takfir as a Model Example

Ahmad Abdulhameed Sayyedahmad
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion and Advocacy in Assuit, al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: ahmedabdelhamed٤٨١٩@azhar.edueg

Abstract:

This research aims to discuss the trend of ideological extremism in the modern age; especially the phenomenon of takfir on the grounds that it is one of the most important and most dangerous manifestations of exaggeration and ideological extremism that tried to destroy the religious, social, and economic systems in the Islamic and non-Islamic world. This is evidenced by the fact that it is easy for those who look at the human history to notice and see forms of extremism and exaggeration, and to know that periods of exaggeration and extremism are the black points in the human history that have exhausted its forces and crippled its resolve throughout the ages, and until the present moment in which we live. Therefore, it was necessary to scrutinize in that trend, try to explain its causes, and treat it in the light of the Islamic rules. It is worth mentioning that we, firstly, made a general presentation of the concept of exaggeration and ideological extremism; which is our first basis to present the phenomenon of takfir, then we depended on it to present the phenomenon of takfir; its roots and its most important manifestations, then we explained the impact of exaggeration and ideological extremism (in both ancient and modern eras), and the most important modern extremist trends that were based on them, such as the extremist group Da'esh (ISIS); with an explanation of the causes of ideological extremism and its treatment, given that they are the specific causes of the phenomenon of takfir.

One of the most important results reached is that intellectual and ideological extremism is the result of a disorder in the intellect and mind of a human being, and of a departure from averageness and moderation in understanding the correct Islamic doctrinal subjects and issues. This is in addition to the fact that exaggeration and extremism that exist now, which are represented by labeling Muslims disbelievers (Takfir), killing them, and bearing arms over them, is in itself the method of the Kharijites (Khawarij) who appeared in the past; during the era of Imam Ali bin Abi Talib (may Allah Be Pleased with him). Hence, one of the most important recommendations of the research is spreading the correct moderate Islamic thought among peoples and nations, along with states and societies joining hands with each other in order to confront and eliminate this deviant trend, so that security and peace prevail among peoples.

Key Words: Exaggeration – Ideological Extremism – Phenomenon – Takfir (labeling someone a disbeliever).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله على فترة من الرسل، وأمره بالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة خصومه، وأعدائه بالتي هي أحسن حاكيًا ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [1]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله الذي جاء بالدين الوسط، وحذر أتباعه من الغلو والشطط، ودعاهم إلى الاقتصاد في القول والعمل.

وبعد

فإن ظاهرة الغلو والتطرف تعد من الأمراض والآفات التي ابتليت بها البشرية، منذ ظهورها على وجه الأرض، وحتى العصر الذي نعيش فيه، ومن السهل على الناظر في التاريخ الإنساني أن يلاحظ ويرى ألوانًا من التطرف والغلو، وأن يعرف أن فترات الغلو والتطرف تعد النقاط السوداء في تاريخ البشرية التي أنهكت قواها، وشلت عزيمتها على مر العصور .

والذي يهمنا من تاريخ الغلو والتطرف، هو القسم الذي وقع في الأمة الإسلامية، بدءًا من نزول الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم – وحتى العصر الحديث، والذي يطالع التاريخ الإسلامي يجد أنه قد قص أحداث الغلو والتطرف في الفترات السابقة والحاضرة، ونبه على خطرها، وخطأها، وقد قص القرآن الكريم أيضًا أحداث الغلو والتطرف كي نحذر منها ونتجنبها، ولقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يبادر دائمًا إلى علاج الغلو والتطرف، ويرشد إلى اتباع السُنة، وتجنب طرق التطرف والغلو.

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٥) .

ولقد كان من أوائل من زاغ عن هديه – صلى الله عليه وسلم – الخوارج، فكانوا أول البدع ظهورًا في الإسلام، وأظهرها ذمًا في السُنة النبوية، والصحابة، وغيرهم، وقد تصدى سلف الأمة لهذه الفتنة، وعالجوها حتى أضمحلت، وأصبحت كالورقة في مهب الريح، ولكن على الرغم من معالجة سلف الأمة للغلاة والخوارج، ودعوتهم إلى الاعتدال والوسطية التي دعا الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – إليها إلا أنهم لم يمتثلوا كلية لهذه الدعوة، وكانوا يتحينون الفرص والأوقات لنشر فكرهم ومعتقداتهم الغالية والمتطرفة؛ وبهذا استمر مسلسل الغلو في تاريخ الأمة والمتطرفين، وكان علماء الأمة كالعادة يتصدون لمثل هذه الأمور، ويبينون فيها حكم الشرع، ويردون على أقوالهم، وأفعالهم المخزية والباهتة والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة ظلت تتسلل وتتنقل حتى وصلت إلى العصر الحديث، وعلى وجه الخصوص في منتصف القرن العشرين، حيث بدأ شرها بتكفير الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، ثم امتد بهم التكفير ليعم كل من يعمل في أجهزة الدولة، ثم تطور الأمر حتى قالوا بتكفير المجتمع كله، إلا من قال بقولهم، أو انتمى إلى فكرهم حتى ولو كانوا قلة، ولكن على الرغم من الصولة والجولة التي أحدثها هذا التيار في هذه الفترة إلا أن الدول، والعلماء، والمفكرين قد استطاعوا أن يتصدوا له، وأن يبينوا جوانبه الوهمية، وأخطاره العقدية، والعقلية، مما حدا به إلى الإنزواء، والاختفاء، ولكن لم يدم الحال طويلاً حتى وجدناه يطل علينا من جديد في هذه الأيام الحاضرة، في صورة «الدواعش» وغيرهم من التيارات المتطرفة والغالية، الذين انتهجوا نهج الخوارج والغلاة، فالأقوال والأفعال التي تحدث الآن من الدواعش وغيرهم من المتطرفين والغلاة لا تختلف عن أقوال وأفعال الخوارج والغلاة، الذين حاربهم الإسلام قديمًا، وبين خطأ قولهم وفعلهم، وما يشهده العالم اليوم ويكتوي به من أحداث وتفجيرات وعنف، وتكفير، وانتهاك للحرمات، والأعراض، ما هو إلا تكرار لما حدث قديمًا من الخوارج والغلاة .

وعلى الرغم من أنه قد مر على أفكار الخوارج أكثر من ألف عام، وناقش

المسلمون أصحابها، بل وقاتلوهم حتى عانت الأمة الإسلامية منهم إرهاقًا شديدًا لدرجة أن بقيت أصداء تلك المعارك تدوى في كتب التاريخ، وكتب العقائد والفرق حتى الآن، إلا أن الجماعات المتطرفة المعاصرة أبت إلا أن تنفخ في هذا الرماد من جديد، وتحاول أن تهز استقرار الدول والشعوب والمجتمعات، لذا كان لزامًا علينا جميعًا أن نتصدى لهذا التيار المنحرف والمتطرف، وأن نحاول رده وضحده، سواءٌ بالحديد والنار، أو بالقول والأقلام .

هذا وبناء على ما سبق، وانطلاقًا من إيماني الجازم بخطورة تيار الغلو والتطرف الذي يمر به العالم الإسلامي على وجه الخصوص، رأيت أن أساهم بقلمي في كتابة بحث مختصر تحت عنوان: [الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث] «ظاهرة ةالتكفير نموذجًا».

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كان وراء اختياري لهذا الموضوع عدة أسباب أهمها:

١- استمرار مسلسل الغلو والتطرف الذي ظهر قديمًا في الإسلام منذ نشأته على يد الخوارج، وحتى اللحظة الراهنة التي نعيش فيها .

٢- تطور ظاهرة الغلو والتطرف، واتساع بؤرتها وضربها لجميع مجالات الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية .

٣- توهم عموم الناس بأن الغلاة على حق، وأنهم أحق الناس بالدين، والإسلام، والتقدم، والريادة .

٤- تعاطف بعض المجتمعات، والدول مع الغلاة والمتطرفين ومساندتهم وإمدادهم بالمال، والعتاد، من أجل تحقيق أغراض سياسية معينة، أو من أجل زعزعة الأمن والاستقرار في أماكن مخصوصة .

٥- انتشار ظاهرة السب، والقذف، والتفسيق، والتكفير، بصورة كبيرة وفاحشة في مجتمعنا المعاصر .

٦- اضطراب أجهزة الإعلام المرئية، والمسموعة في هذه الأيام، بأقوال الغلاة والمتطرفين، التي تخالف المنهج الإسلامي.

٧- انتشار عمليات القتل، والتفجير، والاغتيال، من قبل هؤلاء الغلاة، للأبرياء من المسلمين، وغير المسلمين .

الهدف من البحث:

يتمثل هدفي من البحث في موضوع (الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث) بصفة عامة، في محاولة الوقوف على الماهية الحقيقية لهذا التيار المنحرف الذي يعادي المجتمعات الإسلامية، ويحاول تقويضها خاصة، وأنه قد انتشر في هذه الآونة الأخيرة في كثير من الدول العربية، والغير عربية، هذا بالإضافة إلى بيان أسبابه وعلاجه .

منهج البحث:

لقد اعتمدت في مناقشتي لتيار الغلو والتطرف على المنهج التحليلي[1] النقدي، وقد استخدمت الجانب التحليلي في الوقوف على مفهوم الغلو والتطرف، وأنواعه، والعلاقة بينهما، وتعريف ظاهرة التكفير، ومظاهر الغلو فيها ؛ هذا بالإضافة إلى بيان طبيعة الغلو وأسبابه، وأثره في العصر الحديث، وأما الجانب النقدي من هذا المنهج فقد استخدمته في الوقوف على سلبيات هذا التيار المنحرف، والرد عليها .

---

(١) المنهج التحليلي: هو المنهج الذي يتم من خلاله دراسة الظواهر، والإشكالات العلمية المختلفة، من خلال عدة طرق كالتركيب والتقويم، والتفكيك، ويعد هذا المنهج ملائمًا للعلوم الشرعية بشكل كبير، حيث يكثر استخدامه فيها، ويستخدم في المنهج التحليلي ثلاث عمليات، وهي: التفسير، النقد، الاستنباط، وقد يستخدم الباحث إحدى هذه العمليات، أو قد يجمع بين عملتين أو أكثر.
والجانب النقدي من هذا المنهج هو: الذي يناقش الظاهرة ويبين سلبياتها وأوجه قصورها.
انظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية ص ١٩٣ د/ فريد الأنصاري، منشورات القرآن. ط ١٩٩٧م.

خطة البحث:

لقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد سبق بيانها .

وأما المبحث الأول: فيتناول: التعريف، بالغلو، والتطرف وأنواعه، وجذوره.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالغلو والتطرف، والعلاقة بينهما .

المطلب الثاني: أنواع الغلو والتطرف، والفرق بينهما .

المطلب الثالث: جذور الغلو فى الدين .

وأما المبحث الثاني: فيتناول أهم مجالات الغلو العقدي (ظاهرة التكفير)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: جذور ظاهرة التكفير .

المطلب الثاني: ظاهرة التكفير بين الماضي والحاضر .

وأما المبحث الثالث: فيتناول: أهم مظاهر الغلو في التكفير

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ظاهرة التكفير بالمعصية مطلقًا .

المطلب الثاني: ظاهرة تكفير الحكام .

وأما المبحث الرابع: فيتناول: أسباب الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث، وأثره

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث.

المطلب الثاني: أثر الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث.

المطلب الثالث: الإحصائية العامة للغلو والتطرف في العصر الحديث وعلاقته

بالتطرف الديني.

وأما المبحث الخامس: فيتناول: مظاهر غلو وتطرف خوارج العصر الحديث، والعلاج الأمثل له، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مظاهر غلو وتطرف خوارج العصر الحديث (الدواعش)

المطلب الثاني: العلاج الأمثل للغلو والتطرف في العصر الحديث .

وأما الخاتمة: فتشتمل على أهم نتائج البحث، والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف بالغلو والتطرف ، وأنواعه ،وجذوره

المطلب الأول

التعريف بالغلو والتطرف ،والعلاقة بينهما

أولاً: تعريف الغلو لغة واصطلاحًا:

١ – الغلو في اللغة: من غَلَى: غَلَا السُعرَ يَغْلوُ غَلَاءً (ممدود)، وغَلَا الناسُ في الأمر، أي جاوزوا حَدَه، كغلو اليهود في دينها، ويقال: أَغْلَيتُ الشيء في الشراء، وغَالَيْتَ به، والغالي يَغْلو بالسهم غُلُوًا أي: ارتفع به في الهواء[١]، فالغلو هو الارتفاع في الشيء، ومجاوزة الحد، يقال: غَلَا في الدين غُلُوًا أي: تشدّد وتصلبَ حتى جاوز الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[٢][٣].

٢ – الغلو اصطلاحًا: في الحقيقة أن من يطالع معنى الغلو في الاصطلاح يجده لا يختلف كثيرًا عن معناه في اللغة .حيث عرفه الشاطبي [٤] بأنه: المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلى حد الإسراف[٥].

---

(١) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٤٤٦/٤ تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي – الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٢) سورة المائدة الآية (٧٧) .

(٣) انظر: جمهرة اللغة – أبو بكر محمد بن دريد الأزدي ٩٦١/٢ تحقيق / رمزي منير بعلبكي – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ط. أولى ١٩٨٧م .

(٤) الشاطبي هو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي من علماء الأندلس، توفي سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م بغرناطة، وهو من علماء العقيدة والأصول والفقه وغير ذلك، من أهم مؤلفاته: كتاب الاعتصام، والموافقات، والمقاصد الشافية .
الأعلام – للزركلي ٧٥/١ الناشر: دار العلم للملايين ط . ١٥ سنة ٢٠٠٢م.

(٥) انظر: الاعتصام – للشاطبي ٣٩٢/١ تحقيق / سليم الهلالي – الناشر: دار ابن عفان، السعودية ط. أولى ١٤١٩هـ .

وقيل: هو مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء في حمده وذمه على ما يستحق [١]، وقيل: هو المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق[٢]، وقال الإمام القرطبي [٣]: الغلو في الدين: الإفراط فيه كما أفرطت اليهود والنصارى في عيسى ــ وغلو اليهود في عيسى قولهم: ليس ولد رِشْدَةٍ، وغلو النصارى في قولهم: إنه إله [٤].

والملاحظ أن هذه التعريفات جميعًا تتفق على حقيقة واحدة وهي: أن الغلو هو مجاوزة الحد المشروع، أو المأمور به، أو المغالاة في فهم أو تطبيق المشروع، أو المأمور به، وعليه فكل من تعدى ما أمر الله به شرعًا، أو جاوز الحد المأمور به فيه فهو غالٍ فيه، أو متجاوز له، يقول ابن القيم [٥] – رحمه الله –: وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه: مضيع له، هذا بتقصيره عن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيملابن تيمية ٣٢٨/١ / تحقيق / ناصر عبد الكريم العقل ط. سابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٩٩م، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٧٨/١٣ الناشر: دار المعرفة – بيروت .

(٣) الإمام القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح، كنيته أبو عبد الله، ولد بقرطبة ١٢١م، وتوفي سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٣م، وهو أشعري مالكي، من أهم مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن . الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥ .

(٤) انظر: تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/٦، دار المكتبة العصرية، القاهرة ط. ثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

(٥) ابن القيم: هو: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي المعروف باسم ابن قيم الجوزية أو ابن القيم، وهو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم، ولد سنة ١٢٩٢م وتوفي سنة ١٣٥٠م – ٧٥١هـ، من أهم مؤلفاته: الفوائد، الوابل الصيب من الكلم الطيب، زاد المعاد، الروح، مدار السالكين، وغير ذلك الكثير .
معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ١٠٦/٩ الناشر: مكتبة المثنى – بيروت .

الحد. وهذا بتجاوزه الحد [١].

ثانيًا: تعريف التطرف لغة واصطلاحًا:

١ – التطرف لغة: مصدر طَرفَ، تقول: طَرِفَتِ الناقةُ بالكسر، إذا تَطَرَّفَتْ، أي رَعَتْ أطْرافَ المراعى ولم تختلط بالنوق، وطرف كل شيء منتهاه، والطرَف بالتحريك: الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء، والجمع أطْرَاف [٢].

وقيل: إن هذه الكلمة يدور معناها لغة حول معنيين: الأول: ويطلق على حد الشيء، والثاني: ويطلق على حركة بعض الأطراف، والذي يخصنا هنا هو المعنى الأول، وهو حد الشيء وحروفه، ويراد بالحد، منتهى الشيء وغايته أو طرفه، هذا إذا لم يتساو الحدان، فيصلح كل واحد منهما أن يكون مبتدأً، ومنتهى كحدِّي الخيط[٣]، وذكر صاحب المعجم الوسيط: أن الطرف من كل شيء منتهاه، أو الناحية، أو الجانب، والتطرف هو تجاوز حد الاعتدال، وعدم التوسط .

وعليه فالتطرف تفَعَلٌّ من الطَرَف، تطرف يتطرف فهو متطرفٌ آت الطرف، وسواءٌ أقلنا بأن الطرف هو منتهى الشيء، أم مطلق الحد، فإن من تجاوز حد الاعتدال وغلا يصح لغويًا تسميته بالمتطرف[٤]، ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن المعنى اللغوي لكلمة (تطرف) وكلمة (غلو) يكاد يكون واحدًا؛ لأن كلاً منهما يطلق معناه على المغالاة أو تجاوز الحد، أو المبالغة في الشيء، والإسراف فيه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم ٤٦٤/٢، ٣٦٥، تحقيق / محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، ط. ثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

(٢) انظر: الصحاح للجوهري ١٣٩٣/٤، ١٣٩٤، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين – بيروت، ط . رابعة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٤٤٧/٣، مادة (طرف) تحقيق/ عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩٨م .

(٤) انظر: المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٥٥٥/٢ مادة (طرف) الناشر: دار الدعوة .

٢ – التطرف اصطلاحًا: على الرغم من أن التطرف يصدق على التسيب والتفريط، كما يصدق على المغالاة، إلا أن المقصود هنا هو تطرف المغالاة والإفراط، باعتبار أنه هو المشهور وهو يطلق على: «التنطع في أداء العبادات الشرعية، أو مصادرة اجتهادات الآخرين في المسائل الاجتهادية، أو تجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالف»[١].

وقيل: إن التطرف في أبسط صوره وأشكاله هو الغلو والزيادة في الشيء دون حاجة أو ضرورة، وهو الابتعاد عن القصد والعدل[٢]. فهو مصطلح يستخدم للدلالة على كل ما يناقض الاعتدال، إفراطًا، أو تفريطًا ويقصد بالتطرف الفكري: مجموعة الأفكار التي تتسم بالغلو، ويدين بها بعضهم، مع ما فيها من خروج عن القواعد الفكرية، أو الثقافية التي يقبلها المجتمع، ولا يأباها الشرع[٣]، ومفهوم التطرف في العرف الدارج – في هذا الزمان – هو: الغلو في عقيدة، أو فكرة، أو مذهب، أو غيره، يختص به دين أو جماعة أو حزب، ووصف الغلو بالتطرف، له وجهه المسوغ له، بأخذ أحد الطرفين، ومنه قول الشاعر:

لا تقل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

ولكن الوصف الشرعي للتشدد في الدين والغلو فيه يجب أن يكون مرجعه إلى الشرع نفسه لا اصطلاح الناس، ومفاهيمهم، وإطلاقاتهم كما دل عليه حديث ابن عباس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في الحج: « أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، فَارْمُوا إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[٤] [١] .

---

(١) انظر: التطرف الديني، الرأي الآخر – د / صلاح الصاوي ص ١٠ ط. الآفاق الدولية للإعلام.

(٢) الإسلام والآخر – أحمد الجهيني، محمد مصطفى ص ٢٣٤ ط . مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

(٣) انظر: التطرف الفكري – د / نادي محمود حسن ص ٦ أبحاث ووقائع المؤتمر العام السابع والعشرين .

(٤) أخرجه: ابن ماجه في سننه ١١١٨/٢حديث رقم ٣٠٢٩ كتاب المناسك – باب: قدر حصى الرمل . =

ثالثًا: العلاقة بين الغلو والتطرف والإفراط ونحوهما:

من خلال ما سبق ذكره حول مفهوم الغلو والتطرف يمكن القول: إن الغلو يعد في الحقيقة أعلى مراتب الإفراط في الجملة، فعلى سبيل المثال الغلو في الكفن، هو المغالاة في ثمنه، والإفراط فيه .

والغلو أخص من التطرف، إذ أن التطرف كما سبقت الإشارة هو مجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطًا أو تفريطًا، أو بعبارة أخرى سلبًا أو إيجابًا، زيادة أو نقصًا، سواء كان غلوًا أم لا إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر، فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص، أما التطرف فهو انحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو، ولكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف، أو بمعنى آخر: كل غلو فهو تطرف، وليس كل تطرف غلوًا[٢].

=

انظر: سنن ابن ماجة – تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء الكتب العربية .

(١) انظر: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، د/ على عبد العزيز علي الشبكي ص ٩.

(٢) انظر: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، د/ على عبد العزيز علي الشبكي، ص ١٢.

المطلب الثاني
أنواع الغلو والتطرف

أولاً: أنواع الغلو: يتنوع الغلو أو ينقسم إلى قسمين: الأول: الغلو الاعتقادي، والثاني: الغلو العملي، والنوع الأول – الغلو الاعتقادي – هو الذي سوف يدور حوله موضوع البحث، ويتمثل في مجاوزة حدود الاعتقاد الصحيح إلى غيره من ضروب الانحراف[١]، وقد يراد بالاعتقادي ما كان متعلقًا بباب العقائد فهو محصور في الجانب الاعتقادي الذي يكون منتجًا للعمل بالجوارح، ومن أشد أنواع هذا النوع:

١ – الاعتقادات الباطلة في الله بالإلحاد في أسمائه وصفاته وآياته.

٢ – الغلو في الأنبياء والصالحين بادعاء شيء من صفات الله لهم والاستغاثة بهم .

٣ – اعتقاد انحصار الحق في شخص أو فئةٍ، وتعظيم أقوالهم وأفعالهم، وتحكيمها في الشريعة وتقديمها عليها .

٤ – الغلو بتكفير المسلمين بغير حق واستحلال دمائهم وأموالهم بذلك، وفي صفة هؤلاء قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[٢][٣] يقول الإمام الشاطبي: ويدخل في الغلو الكلي الاعتقادي، الغلو في فروع كثيرة، إذ أنَّ المعارضة الحاصلة به للشرع مماثلة لتلك المعارضة الحاصلة بالغلو في

---

(١) انظر/ محبة الرسول بين الاتباع والابتداع/ عبد الرؤوف محمد عثمان، ص١٤٤، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض، ط. أولى: ١٤١٤ه

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ١٣٧/٤ رقم ٣٣٤٤، كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله – عز وجل –: { وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية } .
انظر: صحيح البخاري، تحقيق / محمد زهير. ط . أولى ١٤٢٢ه الناشر: دار طوق النجاة

(٣) انظر: الغلو في الدين د/ علاء الدين خيتي ص ٢، هيئة الشام الإسلامية ١٤٣٥ه – ٢٠١٤م، معنى الغلو في الدين، ونبذة في تاريخه وأنواعه ص ٤، موقع على بصيرة، الشبكة العالمية .

أمر كلي، والغلو الكلي الاعتقادي أشد خطرًا، وأعظم ضررًا من الغلو العملي، إذ الغلو الكلي الاعتقادي هو المؤدي إلى الاشتقاقات وهو المظهر للفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم، ذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية في معني كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات إذ الجزئي أو الفرع شاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا، وإنما ينشأ التفرق عند المخالفة في الأمور الكلية[١].

النوع الثاني: الغلو العملي : ويقصد به الزيادة في العبادة على الحد الذي وضعه الشرع للتقرب إلى الله – عز وجل – فيشق على نفسه، أو أن المراد بالعملي ما كان متعلقًا بباب العمليات فهو محصور في جانب الفعل، سواء أكان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح، والعملي المراد به أيضًا هنا، ما كان عملاً مجردًا، وليس ناتجًا عن عقيدة فاسدة، ويطلق عليه أيضاً الغلو الجزئي، ويراد بالجزئي: ما كان متعلقًا بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة الإسلامية [٢] يقول ابن القيم: والغلو نوعان: نوع يخرج صاحبه عن كونه مطيعاً، كمن زاد في الصلاة ركعة، أو صام الدهر مع أيام النهى، أو رمى الجمرات بالصخرات الكبار، ونوع يخاف منه الانقطاع والاستحسار كقيام الليل كله، وسرد الصيام الدهر أجمع بدون صوم أيام النهى، والجور على النفوس في العبادات والأوراد.[٣]

ومن أمثلة ذلك: ما ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه: « دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا الحبل ؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت

---

(١) انظر الاعتصام للشاطبي ٢/٢٠٠ وما بعدها، تحقيق/ سليم الهلالي – الناشر: دار ابن عفان، السعودية، ط. أولى ١٤١٢ه

(٢) انظر: الغلو في الدين د / عبد الله بن صالح الكنهل ص ٣، ٤ شبكة الدرر الشامية، الغلو في الدين د / عبد الرحمن بن مُعلا اللويحق ص ٧٧ ط. خامسة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م مؤسسة الرسالة .

(٣) انظر: مدارج السالكين/ ابن القيم ، تحقيق: محمد حامد الفقي ج٢ ص ٤٩٦، ٤٩٧، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ

تعلقت به، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليعقد »[١].

ومن أمثلة هذا النوع أيضًا ما ورد عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: « جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [٢].

ومن هنا يمكن القول: إن الذي يقوم الليل كله، أو يعتزل النساء، أو يشق على نفسه بأي نوع من أنواع الطاعة المشروعة يعد مغاليًا غلوًا عمليًا .

كما أن من يعتزل مساجد المسلمين لأنه يراها مساجد ضرار يعد غاليًا ولكن غلوه يعد غلوًا اعتقاديًا. هذا بالإضافة إلى أنه إذا تعددت أبواب الغلو الجزئي العملي فإنها تصبح غلوًا كليًا، لأن الضرر المترتب عليها نظير الضرر المترتب على الغلو الكلي الاعتقادي.

ثانيًا: الفرق بين الغلو الاعتقادي والغلو العملي :

من خلال ما سبق يمكن القول إن هناك فروقًا بين الغلو الاعتقادي، والغلو العملي يمكن إجمالها فيما يلي:

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥٣/٢ رقم ١١٥٠ كتاب الجمعة، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٧ رقم ٥٠٦٣ كتاب النكاح – باب الترغيب في النكاح .

١- أن الغلو الاعتقادي عام الضرر على الأمة، وعلى الشخص نفسه ومن هنا يمكن وصفه بالاضطراد، أما الغلو العملي فهو نسبي، لأنه قد يكون مؤثرًا على شخص، فيعد غلوًا في حقه، وغير مؤثر في آخر فلا يعد غلوًا، هذا بالإضافة إلى أن ضرر الغلو العملي في الغالب يقع على الغالي وحده .

٢- منطوق النصوص التي وردت في الغلو الاعتقادي يشير إلى أنه قد يكون في فرقة أو جماعة على حد تعبير النبي – صلى الله عليه وسلم «إن من ضئضئ هذا قومًا » بينما منطوق النصوص التي وردت في الغلو العملي يشير إلى أنه يكون مختصًا بالفرد [١].

ثالثاً: أنواع التطرف:

يتنوع التطرف إلى عدة أنواع منها:

١ – التطرف الديني: وهو مجاوزة حد الاعتدال في السلوك الديني فكراً، أو عملاً.

٢ – التطرف الفكري: ويتمثل في الخروج عن القواعد الفكرية، أو الثقافية التي يرتضيها المجتمع.

٣ – التطرف السياسي: وهو عبارة عن انتهاج فرد أو جماعة منهج سياسي محدد يرفض أي مجال للحوار أو النقد، والتعصب نحو المبادئ السياسية التي يطبقونها، ظناً منهم أن حزبهم يمتلك الحقيقة الصحيحة المطلقة [٢]

ولا شك في أن أشد هذه الأنواع (التطرف الديني)، لأنه يقوم على أساس ديني خاطئ، ومن هنا فهو يلتقى مع الغلو الديني بنوعيه سواءً أكان عقدياً، أم عملياً.

---

(١) انظر: الاعتصام للإمام الشاطبي ٢/٢٣١، والفتاوى لابن تيمية ١٩/٧٢ وما بعدها.

(٢) انظر: المتطرفون: د جميل أبو العباس/ ص٨٨/ دار النخبة للطباعة والنشر، أنواع التطرف، نعمة طبيشات، موقع موضوع/ بتاريخ ١٢/ ١/٢٠٢٠م

المطلب الثالث

جذور الغلو في الدين

لا أكون مبالغًا إن قلت إنه لم تخل أمة من الأمم، أو عصر من العصور من الوقوع في شبكة وبراثن الغلو، وأن الغلو نشأ مع نشأة البشرية على وجه الأرض، ويحدثنا القرآن الكريم عن نموذج من هذا الغلو في قصة أبناء سيدنا آدم – عليه السلام – حيث يقول: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [١]، فعلى أحد أوجه التفسير: أن الغلو يتمثل في عزم ابن آدم على إلحاق الأذى بأخيه وقتله، لأنه رآه أقرب إلى الله منه وأوجه عنده، فالغلو المتمثل في الحسد كان على مكانته عند الله، ولم يكن عن اختلاف حول جمال زوجة أخيه، وعلى القول الآخر أن ذلك كان حسدًا منه له لظفره بأخته الجميلة دونه، فهذا أيضًا من جملة الغلو بمفهومه الأوسع، وعلى كلا القولين يكون الحسد، والغلو في الأمر الواقع، وعدم استيعابه، وفهمه له هو الذي دفعه إلى البغي والظلم والاعتداء [٢].

ثم نجد الغلو بعد ذلك متفشيًا في بعض الأمم التالية، كأمة سيدنا نوح – عليه السلام – حيث يحدثنا القرآن والتاريخ أن أول شرك في عبادة الله وقع في الأرض كان بسبب الغلو في أناس صالحين، وكان ذلك في قوم نوح – عليه السلام –، وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك[٣]

---

(١) سورة المائدة آية (٢٧) .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٣/٣، ٧٧ تحقيق / محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان . ط . أولى ١٤١٩هـ .

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٦٦٨/٨، الناشر: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .

ويعد هذا أول غلو في العقيدة.

قال تعالى حاكيًا موقف قوم نوح من عبادتهم لأصنام الصالحين: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]، والجدير بالذكر أن عقيدة الغلو أخذت تتناقل من أمة إلى أخرى، ومن ديانة إلى ديانة حتى وصلت إلى الإسلام، وإذا طالعنا جذور الغلو في الإسلام نجد أن جذوره وبذوره ظهرت في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – بصورته العقدية والعملية، والذي يهمنا في هذا الصدد من الجذور، العقدية لا العملية؛ لأن الغلو العملي صورة تتكرر في كل زمان ومكان على أيدي أفراد من الناس؛ لأنها شأن فردي يمكن أن يحدث في أي بيئة، وجذور الصورة العقدية للغلو تتمثل وتتضح في حديث ذي الخويصرة الذي اعترض على قسمة النبي – صلى الله عليه وسلم – للغنائم [2]، وهذا الغلو العقدي بقيت بذوره التي كانت على يد ذي الخويصرة متوارية وراء الباب حتى كُسر، ثم تتابعت الفتن، وكان الباب هو سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال: « كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟

قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا، قَالَ: فَقُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ:

---

(١) سورة نوح الآيتان (٢٣، ٢٤) .

(٢) سبق ذكر هذا الحديث عند ذكر أنواع الغلو .

نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، قَالَ الراوي: فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ: مَنِ الْبَابُ؟ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ[١]: سَلْهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ»[٢] .

وقد كان كسر الباب بقتل عمر – رضي الله عنه – وبداية الفتن والغلو في الدين، حيث بدأ المغرضون يهيئون النفوس لها، فأوغروا الصدور على الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – حتى امتدت إليه الأيدي الآثمة فقتلته، فكان قتله هو الفتيل الذي أشعل نار الفتنة الهوجاء[٣] .

وعلى أثر هذا الصراع والخلاف حدثت موقعة الجمل[٤] ثم بعد موقعة الجمل حدثت موقعة صفين[٥] بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وعلى أثر

---

(١) مسروق: أبو عائشة مسروق بن الأجدع الوادعي، تابعي، ومفتي كوفي، وهو من رواة الحديث النبوي ولد بالكوفة من العراق وتوفي سنة ٦١هـ – ٦٨٢م بالجزائر .
تهذيب الكمال – المزي ٤١٠/٢٧ – ٤١١ مؤسسة الرسالة بيروت . ط . أولى ١٩٨٠م

(٢) الحديث أخرجه: الإمام مسلم في صحيحه ٢٢١٨/٤ رقم ٢٦، كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، الناشر: دار إحياء التراث االعربي.

(٣) انظر: الغلو في الدين – عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٣، ٩٤، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف – علي بن عبد العزيز بن علي الشبل ص ٢٣ وما بعدها .

(٤) موقعة الجمل: هي معركة وقعت في البصرة عام ٣٦هـ بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والجيش الذي يقوده الصحابيان الجليلان طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، بالإضافة إلى أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر، وقد سميت هذه الموقعة بهذا الاسم لأن السيدة عائشة – رضي الله عنها – ذهبت مع جيش المدينة إلى هذه المعركة في هودج من حديد على ظهر جمل وقد كانت هذه المعركة سنة ٦٥٦م .
انظر: كتاب الطبقات الكبير – ابن سعد، تحقيق د/ علي محمد عمر، ١٠٥/٣ مكتبة الخانكي ٢٠٠٢م .

(٥) موقعة صفين: هي الموقعة التي كانت بين جيش الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – وجيش معاوية بن أبي سفيان في شهر صفر ٣٧هـ بعد موقعة الجملة بسنة تقريبًا، على الحدود السورية العراقية، والتي انتهت بعملية التحكيم في شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين للهجرة .
انظر: الكامل في التاريخ لابن حجر ٦٤١/٢ وما بعدها، ط. أولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الناشر: دارالكتاب العربي – بيروت .

ذلك وقع حادث التحكيم الذي نتج عنه أكبر فرقتين غاليتين في تاريخ الأمة الإسلامية وهما فرقة الخوارج والشيعة[١] .

هذا والجدير بالذكر أن الغلو الموجود الآن في العصر الحديث، والذي يعاني منه المسلمون وغير المسلمين، ترجع جذوره وبذرته إلى هذه الخلافات والفرق القديمة التي ظهرت في صدر الإسلام .

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام الخوارج والشيعة – د / أحمد محمد جلي ص ٢٩ وما بعدها، مركز الملك فيصل للبحوث – الرياض – السعودية ط. أولى ١٤٠٦هـ .

المبحث الثاني

أهم مجالات الغلو العقدي[١] (ظاهرة التكفير)[٢]

لقد سبقت الإشارة إلى أن الغلو بصفة عامة يتنوع إلى نوعين: غلو عقدي كلي، وغلو عملي جزئي[٣]، ولكل واحد من هذين النوعين مجالات تخصه ويجري فيها، والذي يهمنا من هذه المجالات هو مجالات الغلو العقدي؛ لأنه أعمق وأخطر من الغلو العملي، ونظرًا لأن مجالات الغلو العقدي كثيرة ومتعددة ويصعب الوقوف عليها جميعًا في موضع واحد، سوف أقوم بالاقتصار على مناقشة نموذج واحد من مجالات الغلو العقدي وهو (ظاهرة التكفير) على اعتبار أن هذه الظاهرة تعد من أهم مظاهر الغلو الاعتقادي .

---

(١) من مجالات الغلو الاعتقادي: ١ – الغلو في ذم التقليد ٢ – الغلو في الولاء والبراء ٣ – إحداث أصول تشريعية جديدة ٤ – الغلو في مسألة الأسماء والأحكام .

(٢) الكفر: لغة الستر والتغطية، وشرعًا: ضد الإيمان فيكون قولاً وعملاً واعتقادًا وتركًا، كما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وهذا مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، خلافًا لمن حصر الكفر في التكذيب، أو الجحود بالقلب، أو بالقلب واللسان، ونفى أن يكون بالعمل أو بالترك .

(٣) من مجالات الغلو العملي الجزئي: ١ – تحريم الطيبات ٢ – تحريم الصلاة في المساجد ٣ – اعتزال المجتمعات الإسلامية ٤– التشديد على الناس والنفس ٥ – تحريم التعليم ٦– الخروج على الحكام .

المطلب الأول: جذور ظاهرة التكفير

تعد ظاهرة التكفير، أو الغلو في التكفير من أهم مجالات الغلو العقدي التي تعرض لها العالم الإسلامي، وغيره من العوالم قديمًا وحديثًا، ولقد سبقت الإشارة إلى أن الخوارج هم أول من وقعوا في لجة التكفير في فجر الإسلام، وعلى الرغم من أنهم كانوا من أشد الناس تمسكًا بالشعائر الدينية صيامًا وقيامًا، وتلاوة للقرآن، إلا أن الشيطان زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنًا، وضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ومن ثم وصفهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: « يَحْقِرُ أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم»[(١)].

ومع ذلك قال عنهم – صلى الله عليه وسلم –: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» ووصف صلتهم بالقرآن فقال: «يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم» وذكر علامتهم المميزة بأنهم: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، وهذه العلامة الأخيرة هي التي جعلت أحد العلماء حين وقع في يد بعض الخوارج، وسألوه عن هويته، أن يقول: مشرك مستجير، يريد أن يسمع كلام الله، وهنا قالوا له: حق علينا أن نجيرك، ونبلغك مأمنك، وتلوا قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[(٢)] ولو قال لهم مسلم: لقطعوا رأسه[(٣)]، ومن هنا يتأكد أن الخوارج هم أول من انشق عن جماعة المسلمين وخرجوا عليهم، وأباحوا دمائهم، واتفقوا على هذا فيما بينهم وقالوا: بتكفير أهل الذنوب، ولم يفرقوا بين ذنب وذنب، بل اعتبروا الخطأ في الرأي دينًا، وبهذا الفكر الخطير أيضًا كفر الخوارج عليًا –

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) سورة التوبة الآية (٦) .

(٣) انظر: الإسلام وقضايا العصر د/ إبراهيم الدبو، د/ كايد قرعوش ص ١٣١، ١٣٢، دار المأمون للنشر والتوزيع .

رضي الله عنه – والصحابة الذين كانوا معه، كطلحة، والزبير، وغيرهم، ولم ينتهوا عند ذلك، وقد أرسل إليهم عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – فرجع منهم ألفان، وأما الآخرون فلم يسلموا للصحابي الجليل بما حاجهم به[1].

وقد كانت هذه الجماعة الباقية التي لم تسلم، هي النواة، أو البذرة السيئة التي انبثقت منها التيارات المتشددة والمتطرفة التي نعاني منها حتى الأن.

(1) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص ٨٥ مطبعة الحلبي، ط. أولى ١٩٦٦م، الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١٢٣/١ وما بعدها، مكتبة السلام العالمية .

المطلب الثاني

ظاهرة التكفير بين الماضي والحاضر

لا أكون مبالغاً إن قلت إن ظاهرة التكفير تعد من أكثر الظواهر المتطرفة التي أرقت الشعوب والمجتمعات، وشغلت أقلام وعقول وأفكار كثير من العلماء والمفكرين والسياسيين قديماً وحديثاً – كما سبقت الإشارة – وخير دليل على هذا أن هذه الظاهرة ما زالت قائمة وموجودة بيننا حتى اللحظة الراهنة التي نعيشها، ولا زالت أيضاً تدمر وتخرب في المجتمعات والشعوب بصورة كبيرة، وهذا يشير إلى أن هذه الظاهرة نبتة قوية ولم تستطع الحركات المضادة السابقة والحاضرة أن تقضى عليها بصورة كلية أو جذرية.

والجدير بالذكر أنه قد اختلفت أنظار بعض الباحثين حول مدى تأثر المغالين المعاصرين بالفرق المغالية القديمة، وخاصة فرقة الخوارج، في قولهم بالتكفير إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: ويرى أن الغلاة اليوم قد استفادوا من الخوارج، ومن فكرهم، وأن فكر الخوارج كان ولا يزال أحد الينابيع التي يستمد منها هؤلاء المتطرفين الجدد أفكارهم، وذلك لأن ظاهرة التكفير ظاهرة عالمية تشمل العالم الإسلامي كله، ولا تقتصر على قطر دون قطر، فالتكفير ظاهرة قديمة موصولة الحلقات، وليست ظاهرة حديثة كما يتصور البعض، فما ظهر دين ولا مذهب، ولا قام نظام إلا كان من بين أنصاره متطرفون ومعتدلون، وإنما موضع الخطورة في التطرف الديني، لأن القاعدة الفكرية والاعتقادية، التي ينطلق منها قاعدة بالغة الاتساع، وأن التعاطف والتشجيع الذي يلقاه هؤلاء المتطرفون في بداية نشاطهم باعتبارهم مظهرًا حيًا من مظاهر «الانبعاث الإسلامي» أو «الصحوة الإسلامية» يحول في كثير من الأحيان دون رؤية مداخل الشطط، ومظاهر الموج والانحراف في منهج بعضهم وأفكارهم وأسلوبهم في الدعوة والعمل[1].

---

(1) انظر: حوار لا مواجهة، دراسات حول الإسلام والعصر، د/ أحمد كمال أبو المجد ص ٥٦، ٥٧، سلسلة مجلة العربي العدد السابع ١٥ أبريل ١٩٨٥م، الحكم وقضية التكفير – سالم البهنساوي ص ٦٩ وما بعدها ط رابعة، دار الوفاء .

الاتجاه الثاني: ويرى عدم استقاء المغالين المعاصرين ظاهرة التكفير من أفكار الخوارج والشيعة، يقول أحد الباحثين: لقد جاء اليوم من ينفض الغبار عن ظاهرة التكفير، ويحاول أن يعيد إليها الحياة، وفي كثير من الأحيان – كما يبدو لي – لم يكن الطارحون الجدد على علم مسبق، ولكنه لون غريب من التوافق في التفكير أدى إلى عين النتائج، كما يمكن أن يكون البعض قد درس هذه الفرق وتأثر بمعتقداتها، وبما توصلت إليه من أفكار، وما استشهدت به من حجج(١).

والملاحظ على هذا الاتجاه أنه لا يجزم بعدم استقاء المغالين المعاصرين لأفكارهم وعقائدهم المتطرفة من الفرق القديمة كالخوارج، والغلاة، وغيرهم بدليل قوله: «كما يمكن أن يكون البعض قد درس هذه الفرق وتأثر بمعتقداتها .... إلخ ».

وهذا مما يجعلني أميل إلى القول بتأثر التيارات المغالية الحديثة بالفرق القديمة، واستمدادهم أقوالهم وأفكارهم منهم، خاصة وأن الذي يطالع الفكر القديم للفرق الإسلامية والفكر الحديث للغلاة المعاصرين يجده واحدًا ويهدف لهدف واحد، ويسير على منهج واحد، هذا ويرى بعض الباحثين: أن أهل الغلو في المراحل المتأخرة، وخاصة المتصدرين تمنهم للقيادة أصبح عندهم علم بآراء الخوارج، وربما استفادوا منها بصورة ما وذلك لما يلي:

١ – أن قادة الغلاة كانوا يمنعون أتباعهم من قراءة كتب التاريخ، وليس ثمة تفسير ظاهر لهذا إلا الخوف من معرفة تاريخ الخوارج وآرائهم المبثوثة في تلك الكتب .

٢ – أن تطور فكرهم وقوة استدلالهم في المراحل المتأخرة، دال على استنادهم إلى آراء سابقة لآرائهم .

٣ – أن المناقشين لمنظري الغلاة بينوا لهم سبق الخوارج وغيرهم من الفرق إلى مثل هذه الآراء مما دفعهم إلى الاطلاع عليها .

---

(١) انظر: التكفير وجذوره د/ نعمان عبد الرازق ص ٧، ٨ المنارة للطباعة والنشر والتوزيع.

٤ – أن بعض الآراء التي طرحها الغلاة: مثل غلوهم في تكفير مرتكب الكبيرة تكاد أدلتهم أن تكون صورة لأدلة الخوارج من قبل[١].

(١) انظر: الحكم بغير ما أنزل الله – محمد سرور بن نايف، ص ٢٦٠، ٢٦١، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ط. أولى ١٤٠٧هـ، التكفير وجذوره د/ نعمان عبد الرازق ص ١٢، ١٣، الغلو في الدين- عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٩، ١٠٠.

المبحث الثالث

أهم مظاهر الغلو في التكفير

على الرغم من أن التكفير يعد ظاهرة من الظواهر المتطرفة والغالية التي حاربت الإسلام وغيره من الديانات الأخرى، إلا أن له مظاهر متنوعة ومختلفة تَشَكَّل فيها، وجعلها مجالات له، وهذا يدعو إلى القول بأن الغلو في التكفير ظاهرة، وهو في نفس الوقت له مظاهر، ومن أهم هذه المظاهر ما يلي:

١ – ظاهرة التكفير بالمعصية مطلقًا.

٢ – ظاهرة تكفير الحكام .

المطلب الأول: ظاهرة التكفير بالمعصية مطلقًا

على الرغم من إجماع جمهور المسلمين على أن الكفر لا يصدق إلا على من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو من استحل محرمات الله تعالى التي نص عليها، وهي أيضًا من الأشياء المعلومة ضرورة، وعلى الرغم من تأكيد أهل السُنة على أنهم يقصدون بالذنوب التي لا تكفر المعاصي الصغيرة، والكبيرة، كالزنا وشرب الخمر والقتل .... إلخ، إلا أنه قد شذ عن هذا الإجماع بعض الفرق الإسلامية المتطرفة والمغالية، أمثال الخوارج والغلاة، وتابعهم في هذه الظاهرة كثير من المغالين، والمتطرفين الذين انتشروا في هذا العصر الحديث، والذين يكفرون المسلم بمجرد وقوعه في المعاصي، ويرون أن كل عاصٍ كافر.

يقول أحد الباحثين: « إننا رأينا في هذا العصر من يطلقون على أنفسهم اصطلاحات خاصة، ويحيون فكر الخوارج مرة أخرى، ويقولون بتكفير كل من ارتكب معصية، وأصر عليها ولم يتب منها، وهم يكفرون الحكام لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله، ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بهم، وبايعوهم على الحكم بغير ما أنزل الله، وهم يكفرون علماء الدين وغيرهم لأنهم لم يكفروا الحكام والمحكومين، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر، ويكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله، ولم يدخل فيما دخلوا فيه، ويكفرون كل من قبل فكرهم ولم يدخل في جماعتهم ويبايع إمامهم، ومن بايع إمامهم، ودخل في جماعتهم ثم تراءى له لسبب أو لآخر أن يتركها فهو مرتد حلال الدم. وكل الجماعات الأخرى الإسلامية، إذا بلغتها دعوتهم، ولم تحل نفسها لتبايع إمامهم، فهي كافرة مارقة، وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع، أو بالقياس، أو المصالح المرسلة، أو الاستحسان، ونحوها فهو مشرك كافر، والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية، لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله»[1].

---

(1) انظر: ذكرياتي مع جماعة المسلمين، التكفير والهجرة – عبد الرحمن أبو الخير ص ٣٤، ٣٨ وما بعدها. ط. دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ط. ثانية – الكويت ١٩٨٠م.

والملاحظ أن ظاهرة التكفير عند هؤلاء الغلاة المعاصرين تجري في جميع جوانب الحياة الاجتماعية، فمن لا يوافقهم كافر، ومن يختلف معهم في أي جانب فكري كافر، والحاكم الذي لا يخضع لتعاليمهم كافر، ومن لا يدخل في زمرتهم كافر، ومن يخرج منها كافر ... إلخ هذه اللائحة التكفيرية التي لا تمت للشرع، ولا للدين بصلة .

أدلة الغلاة المعاصرين على ظاهرة التكفير بالمعصية مطلقًا [١]:

لو تتبعنا أدلة أصحاب الفكر المتطرف في العصر الحديث التي يستندون عليها في تكفيرهم للشعوب، والمجتمعات الإسلامية، وغير الإسلامية، لوجدناها لا تفترق كثيرًا عن الأدلة التي استند عليها الخوارج قديمًا، مما يؤكد أن هذا التيار ما هو إلا امتداد للتيار القديم، وأنه يتفق معه في المنهج والهدف، ومن أهم هذه الأدلة ما يلي[٢]:

١ – قول المولى – عز وجل –: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [٣]، **وقوله:** ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [٤]، **وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم: « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[٥].**

ووجه الاستدلال بهذه الأدلة السابقة: أن الله سبحانه وتعالى ورسوله حكم على

---

(١) مفهوم المعصية مطلق عند هؤلاء الغلاة ويشمل الصغائر والكبائر .

(٢) الأدلة التي استدل بها الغلاة والخوارج المعاصرين كثيرة ومتعددة، وهي في جملتها لا تخرج، أو تفترق كثيرًا عن أدلة الخوارج قديمًا، وحتى لا أطيل أو استرسل في الحديث عنها، سوف أكتفي ببعضها .

(٣) سورة الجن آية (٢٣) .

(٤) سورة النساء آية (١٤) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٩٢/٩ رقم ٧٢٨٠ كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنة، باب: الاقتداء بسنن النبي – صلى الله عليه وسلم – .

العاصي بالخلود في النار، وهذا يدل على كفرهم؛ لأن المؤمن لا يخلد

ويمكن الرد على استدلالهم السابق بـــ :

١ – أن المعصية اسم لمخالفة الأمر أيًا كانت هذه المخالفة، ولكن عند تتبع النصوص التي وردت فيها المعصية في القرآن نجد أنها على نوعين:

النوع الأول: أن يراد لفظ المعصية مطلقًا، فهنا يدخل فيها الكفر والفسوق، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [١]، وكقوله: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [٢]

النوع الثاني: ترد مقيدة وهي بهذا خاصة في المخالفة التي ذكرت، وذلك كقوله تعالى فيمن يجور في الميراث: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [٣] فالمعصية هنا معصية خاصة .

٢ – أن العاصي إنما يخلد في النار بالاستحلال للمعصية، أو المراد بالمعصية الشرك، ولا شك في أن كلاً من المشرك، أو المستحل للمعصية كافر، ومخلد في النار، أو أن المراد من الخلود في الآيتين المكث الطويل، وعبر بهذه الصورة عن العقاب للتنفير من ارتكاب المعصية، كأنها لا تنبغي أن تصدر من مؤمن، بل هي من أعمال الكافرين[٤]، يقول الإمام النووي[٥]: إن مذهب أهل الحق ألا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب،

---

(١) سورة الجن آية (٢٣) .

(٢) سورة هود آية (٥٩) .

(٣) سورة النساء آية (١٤) .

(٤) انظر: ///

(٥) الإمام النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي المشهور باسم (النووي) هو محدث وفقيه ولغوي مسلم ولد سنة ٦٣١هـ – ١٢٣٣م بنوى في سوريا وتوفى سنة ١٢٧٧م، من أهم مؤلفاته: =

وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره، وكذلك حكم من استحل الزنا، أو الخمر، أو القتل، أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها[١]

٢ – من الأدلة التي استدل بها أيضًا الغلاة والخوارج المعاصرين على تكفيرهم لأصحاب المعاصي مطلقًا، قول المولى – عز وجل –: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [٢]، ومرادهم بهذا أن طاعة الشيطان عبادة له، ولكن يجاب على ذلك بأن المراد من لفظ العبادة في الآية التنفير، وليس على ظاهره، أو أن المراد: طاعته فيما يوسوس به إليهم، ويزينه لهم، وإنما عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها، ولوقوعها في مقابلة عبادة الله، وإنما تكون طاعته شركًا إذا أطاعه العبد في الاعتقاد[٣].

يقول الإمام القرطبي – رحمه الله –: «إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا إذا أطاعه في اعتقاده الذي هو محل الكفر والإيمان، فإذا أطاعه في الفعل، وعقده مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص»[٤].

٣ – من الأدلة التي استدل بها المغالون على تكفير مرتكب الكبيرة، قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «من ترك الصلاة فقد كفر»[٥]، وقوله – صلى الله عليه وسلم

=

رياض الصالحين، الأربعين النووية منهاج الطالبين، الروضة، أو روضة الطالبين . انظر: الأعلام للزركلي ١٤٩/٨.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٠/١ .

(٢) سورة يس آية (٦٠) .

(٣) انظر: فتح البيان في إعجاز القرآن – صديق حسن خان، ٣٨/٨ الناشر: عبد الحي علي محفوظ، القاهرة، مصر ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧٤٣/٢ .

(٥) الحديث أخرجه النسائي تحقيق د/ عبد الفتاح أبو غدة في سننه ٢٣١/١ رقم ٤٦٣ كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، ط. ثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا.

-: «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا»[١]. وهذان الحديثان من وجهة نظر المغالين يدلان على كفر العاصي الذي ارتكب هذه الكبائر، ويمكن أن يجاب على هذين الحديثين بـــ:

١ – أن هذين الحديثين رويا آحادًا، والمروي آحاد لا يعارض الإجماع المنعقد على غير ذلك .

٢ – أن هذين الحديثين واردان على سبيل التغليظ، والحث على فعل الصلاة وأداء الحج للمستطيع، وفي ذلك يقول بعض العلماء: «أما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك، فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفرًا ولا شركًا يزيلان الإيمان عن صاحبه، وإنما وجهوها على أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون .

٣ – أن ما ورد في هذين الحديثين محمول على الترك مستحلاً، فمن ترك الصلاة مستحلاً فقد كفر، وكذلك من جحد وجوب الحج؛ لأن من يفعل ذلك مُسْتحلاً جاحدًا وجوبهما يكون قد أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، ولا شك في كفره عند جميع المسلمين[٢] ، وفي الحقيقة أن الأدلة التي استدل بها الغلاة على كفر صاحب المعصية كثيرة ومتنوعة، وكلها تقوم على تفسيرات وتبريرات فاسدة وواهية وقد قام كثير من العلماء والمفكرين بالرد عليها وتفنيدها سواءٌ قديمًا أم حديثًا، يقول أبو عبيد[٣] في رده على المغالين والمكفرين لأصحاب المعاصي: ثم قد وجدنا الله تبارك

---

(١) الحديث أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى تحقيق / محمد عبد القادر عطا ٥٤٦/٤ رقم ٨٦٦٠ كتاب الحج باب وإمكان الحج ط. ثالثة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٢م، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) انظر: الإبانة على تعليقات الإمام الحافظ أبي عيسى الترمذي – أبي محمد عبد المنعم علي – هامش ص ٧٥ الناشر: دار اللؤلؤة – مصر ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م، حاشية الجوري للإمام عبد القادر الجوري على شرح الخيالي على شرح العقائد للإمام التفتازاني ص ٢٦٦ دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، عالم وفقيه ومحدث، وإمام من أئمة الجرح والتعديل عاش في القرنين =

وتعالى يكذب مقالتهم، وذلك أنه حكم في السارق بقطع اليد، وفي الزاني والقاذف بالجلد، ولو كان الذنب يكفر صاحبه، لكان الحكم على هؤلاء يُكَفَرَ بالقتل لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: « من بدل دينه فاقتلوه»[١] أفلا ترى أنهم لو كانوا كفارًا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد، وكذلك قول الله فيمن قُتل مظلومًا: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾[٢][٣] فلو كان القتل كفرًا ما كان للولي عفو ولا أخذ دية، ولزمه القتل»، هذا وقد أجمع أهل السُنة والجماعة من الصحابة والتابعين وسائر سلف الأئمة على أن المعاصي من أمور الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[٤] .

وقد عقد الإمام البخاري [٥] لذلك بابًا في صحيحه فقال: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ

=

الثاني والثالث الهجريين، وولد سنة ١٥٧هـ – ٧٧٤م، وتوفي سنة ٢٢٤هـ – ٨٣٨م من أشهر مؤلفاته: الغريب المصنف، غريب الحديث، وكتاب الأموال.
انظر: الأعلام للزركلي ١٧٦/٥ .

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ٦١/٤ رقم ٣٠١٧ كتاب الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله .

(٢) سورة النساء آية (٤٨) .

(٣) انظر: كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٨٩ – ٩٠ منشورات دار الأرقم .

(٤) الحديث: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ١٥/١ رقم ٢٩ باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر.

(٥) الإمام البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ولد سنة ١٩٤هـ – ٨١٠م، وتوفي سنة ٢٥٦هـ – ٨٧٠م، من أشهر مؤلفاته صحيح البخاري، الأدب المفرد .
معجم المؤلفين – عمر رضا ٥٣/٩ .

بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١][٢].

وعليه فالمسلم لا يعتبر خارجًا عن الإسلام، ولا يحكم عليه بالكفر والردة إلا إذا انشرح صدره بالكفر، واطمأن قلبه به، ودخل فيه بالفعل لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾[٣]، ولما كان ما في القلب غيبًا من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله، كان لا بد من صدور ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل، حتى نُسب إلى الإمام مالك[٤] – رضي الله عنه – أنه قال: «من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا، ويحتمل الإيمان من وجه، حمل أمره على الإيمان»[٥] .

---

(١) سورة النساء آية (٤٨) .

(٢) انظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ١٥/١ تحقيق / محمد زهير بن ناصر، الناشر: دار طوق النجاة ط. أولى ١٤٢٢هـ .

(٣) سورة النحل آية (١٠٦) .

(٤) الإمام مالك: أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، فقيه ومحدث، وثاني الأئمة الأربعة وصاحب المذهب المالكي ولد سنة ٩٣هـ – ٧١١م، وتوفي سنة ١٧٩هـ – ٧٩٥م، من أهم مؤلفاته: المدونة الكبرى، الموطأ، رسالة في السنن .
انظر: الأعلام للزركلي ٢٥٧/٥.

(٥) انظر: فقه السُنة – السيد سابق ٢٨٨/٢، الفتح للإعلام العربي، القاهرة .

المطلب الثاني ، ظاهرة تكفير الحكام[١]

تعد ظاهرة تكفير الحكام من أخطر الظواهر التي انتهجها المغالون في العصر الحديث، وهي لا تقل خطرًا عن ظاهرة التكفير بالمعصية التي سبق بيانها، ولقد كانت حجة الغلاة والمتطرفين في تكفيرهم للحكام بأنهم لم يحكموا بما أنزل الله استنادًا إلى قول المولى – عز وجل –: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [٢]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٣] ووجه استدلالهم بهذه الآية أن «من» الموصولة وقعت بعد النفي فتكون عامة، وقد قام كثير من العلماء بالرد على هذه الحجة، وتفنيدها، بأدلة كثيرة ومنها:

١ – أن الموصولات ليست للعموم فقط، بل هي للجنس، وتحتمل العموم والخصوص، فيكون المراد «ومن لم يحكم بشيء مما أنزل الله أصلاً» وهذا مما لا نزاع في أنه كافر .

٢ – أن الآية نزلت في حق اليهود والمراد « بما أنزل الله » هو التوراة بقرينة ما قبله في الآية وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾[٤]، وأمتنا الإسلامية غير متعبدة، ولا ملزمة بهذا الحكم، فتكون «من الموصولة» عامة لليهود كما يبدو واضحًا من سياق الآية قبلها، وشرع اليهود ليس شرعًا لنا، وبهذا يلزم أن يكون اليهود كافرين إذا لم يحكموا بالتوراة، أو لأنهم حرفوا كتاب الله وبدلوا حكمه [٥].

---

(١) تنبغي الإشارة إلى أن الأدلة التي استند عليها الغلاة والمتطرفون في العصر الحديث لا تختلف كثيرًا عن أدلة الخوارج قديمًا، وهذا يؤكد وحدة المنهج والهدف .

(٢) سورة المائدة الآية (٤٤) .

(٣) سورة المائدة الآية (٤٧) .

(٤) سورة المائدة الآية (٤٤) .

(٥) انظر: محاضرات في التوحيد للشيخ صالح موسى شرف ص ٧٣ المؤسسة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة، المواقف في علم الكلام– القاضي الإيجي ص ٣٨٩، عالم الكتب – بيروت .

٣ – أن المراد من الآيات: من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به فهو كافر، وأما الظلم والفسق فهو للمقر به، أو أن المراد كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم».

٤ – أن الحكم يتناول كل من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله، وأقر بلسانه كونه حكم الله، إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى، ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية[١].

ومن هنا يتقرر ويتأكد أن عدم تنفيذ ما جاء به الله، أو عدم الحكم بما أنزل الله يكون كفرًا إذا رفض الإيمان به، أو شك المؤمن فيه أنه من عند الله، أو زعم أنه غير صالح للحكم، أو استهزأ به، أو قال إنه لا يصلح إلا للبيئة التي نزل فيها، أو العصر الذي جاء فيه، أو ما شابه ذلك، ومن الأقوال والأفعال التي تدل على الطاعة في حكم الله إذا كان التقصير في التنفيذ لا يصاحبه شيء من ذلك، فلا يخرج به المقصر عن الإيمان بل يكون عاصيًا[٢]، ومن خلال ما سبق يمكن القول:

١ – إن الحكم بغير ما أنزل الله – تعالى – يكون بحسب حال الحاكم فقد يكون كفرًا عن الملة إن اعتقد عدم وجوبه، أو أنه مخير فيه، أما من علم أنه حكم الله، وأنه واجب وقصر فيه، فهو ذنب من الذنوب الكبيرة، وإن جهل حكم الله – تعالى – مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم، وأخطأ فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

---

(١) انظر: تفسير الخازن – علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ٤٨/٢، تحقيق / عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية .

(٢) انظر: تفسير الوسيط أ . د/ محمد سيد طنطاوي ٢١٨/٤ مطبعة السعادة – القاهرة، ط. ثالثة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، الإسلام وظاهرة العنف د/ أحمد كريمة ص ١٠٩ وما بعدها شركة الدلتا اليوم للصحافة ط. ثانية ٢٠١٥م.

٢ – إن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى تقصيرًا كبيرة من الكبائر، ومرتكب الكبيرة مسلم عاصٍ عند أهل السُنة والجماعة معصوم الدم والمال والعرض، فيحرم قتله، بل يجب الكف عنه، وأمره في الآخرة إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه .

٣ – إذا كان الشرع الحنيف أوجب أن نكف عمن ظاهرهم الإسلام، وإن كان باطنهم خرابًا من الإيمان، كالمنافقين الذين يقولون بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، أو لم تصدق أعمالهم أقوالهم، فالمسلم المصدق المقر أولى بعدم تكفيره، والكف عنه .

٤ – إن العمل بمراتب الإنكار باعتبار المقصر حاكمًا، أو محكومًا، مسلمًا عاصيًا، أو فاسقًا، أولى من العمل باعتباره كافرًا، وهذا ما تشهد له ظواهر النصوص في هذا الخصوص [١].

وفي الحقيقة أن ما أقدم عليه المغالون في العصر الحديث، وجعلوه منهجهم وشغلهم الشاغل، من تكفير الشعوب والمؤسسات، والحكام، لا يختلف كثيرًا عما أقدم عليه الخوارج والغلاة قديمًا، مما يدل على أنهم ينهلون من معين واحد، وينتهجون منهجًا واحدًا وهذا المنهل والمنهج هو في نفس الوقت مخالف لما شرعه الله ورسوله، وما أجمع عليه علماء الإسلام .

---

(١) انظر: الإسلام وظاهرة العنف د/ أحمد كريمة ص ١١٨، ١١٩.

المبحث الرابع

أسباب الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث ،وأثره

المطلب الأول: أسباب الغلو[١] والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث

من أهم أسباب الغلو والتطرف ما يلي:

١ – الجهل بالدين: تعد مسألة الجهل بالدين من أهم وأعظم الأسباب التي أدت إلى ظاهرة الغلو والتطرف قديمًا وحديثًا، ولقد أشار القرآن الكريم إلى خطر الجهل بالدين، أو الاجتهاد فيه بعيدًا عن الأدلة الشرعية، أو ممن لا يملك آلة الاجتهاد فقال: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [٢] فجمع سبحانه وتعالى بين النهي عن الغلو، والنهي عن القول على الله بغير علم[٣]، يقول الإمام الشاطبي عند حديثه عن أسباب الغلو والتطرف: هذه الأسباب راجعة في التحصيل إلى وجه واحد: وهو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم [٤]، وفي مثل هؤلاء يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾[٥] وخلاصة ذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به، وظنوا أنهم بفعلهم

---

(١) تنبغي الإشارة إلى أنه كان من الممكن أن أذكر أسباب الغلو والتطرف في بداية البحث بعد الجذور التاريخية للتطرف، ولكنني رأيت أن أذكرها هنا كي تشمل أيضًا أسباب الغلو في ظاهرة التكفير؛ لأن الأسباب تكاد تكون واحدة ومتشابهة، خاصة وأن ظاهرة التكفير تعد من أهم مجالات الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث .

(٢) سورة النساء الآية (١٧١) .

(٣) الغلو في الدين د/ عماد الدين خيتي ص ٤ .

(٤) انظر: الاعتصام للشاطبي ص ٣٧٥.

(٥) سورة الكهف الآيتان (١٠٣، ١٠٤) .

هذا مطيعون له، وأنهم يحسنون صنعًا، ثم استبان لهم أنهم كانوا مخطئين، وفي ضلال مبين، وأن سعيهم الذي سعوه في الدنيا ذهب هباءًا، فلم يُحدِهم نقيرًا ولا قطميرًا[١].

٢ – ضعف المعرفة بالتاريخ والواقع الإنساني: من الملاحظ أن بعض المغالين أو المتطرفين قلما يلتفتون إلى دراسة التاريخ، بل يصر بعضهم على تحريم دراسته، ويعتبرونه أحسن القصص في القرآن الكريم، ولذلك حرموا دراسة عصور الخلافة الإسلامية والاهتمام بها، هذا بالإضافة إلى أن بعضهم ضعيف المعرفة بالواقع الإنساني، فترى أحدهم يريد ما لا يكون، ويطلب ما لا يوجد، ويتخيل ما لا يقع ويفهم الوقائع على غير حقيقتها ويفسرها وفقًا لأوهام رسخت في رأسه لا أساس لها من سنن الله في خلقه، ولا من أحكامه في شرعه، فهو يريد أن يغير المجتمع كله، أفكاره، ومشاعره، وتقاليده، وأخلاقه، وأنظمته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بوسائل وهمية وأساليب خيالية رسخت في ذهنه[٢].

هذا وضعف المعرفة يأتي من حداثة السن، وقلة التجارب، والغيرة والاندفاع غير المتزن، والذي في غير محله مما يولد قلة الصبر وضعف الحكمة، قال – صلى الله عليه وسلم –: « يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ»[٣][٤].

٣ – الارتباط بالأشخاص لا بالفكرة: يعد من أهم أسباب الغلو والتطرف ارتباط الشخص في قناعته الفكرية بمن يثق فيهم من الأشخاص بصرف النظر عن كون ما قاله

---

(١) تفسير المراغي المجلد السادس ١٩/١٦ للشيخ / أحمد مصطفى المراغي، تحقيق / باسل عيون السود، دار الكتب العلمية .

(٢) انظر: المفاهيم الأساسية لمنهج التربية الإسلامية د/ علي أحمد مدكور ص ١٤١ وما بعدها، الرياض، دار أسامة للنشر والتوزيع .

(٣) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٠/٤ رقم ٣٦١١ كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام.

(٤) انظر: الغلو في الدين – عماد الدين خيتي ص ٥ .

يوافق الصواب أو يخالفه، فما دام قال ذلك الشخص الذي يثق فيه قولاً، فلا معقب لقوله ولا راد لرأيه، وهذا بلا شك مخالف لما ورد في الشرع حيث قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: « إن الحق لا يعرف بالرجال»، ومن هنا يفهم أن الرأي السديد يكون حيث اتفق، لا مع الأشخاص والأوصاف، فالحق لا يستمد قيمته من قائله، وإنما يستمد ذلك من كونه الحق[١].

٤ – الاستهانة بمحارم الله: إن الاستهانة بمحارم الله، وأحكام شرعه، وعدم الأخذ على يد المكابر، والمعلن بالغلو أو التكفير، كان من الأسباب التي أدت إلى انتشار الغلو والتطرف، هذا بالإضافة إلى تساهل بعض العلماء في شأن هؤلاء المتطرفين، وعدهم في زمرة المسلمين، والإسلام منهم براء[٢].

٥ – إتباع الهوى: يقول الإمام القشيري[٣]: أشد الظلم متابعة الهوى؛ لأنه قريب من الشرك، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٤] فمن خالف هواه خالف رضا مولاه، فهو بوضعه الشيء في غير موضعه صار ظالمًا، كما أن العاصي بوضعه المعصية موضع الطاعة ظالم، كذلك هذا بمتابعة هواه بدلاً عن موافقة ومتابعة رضا مولاه صار في الظلم متماديًا[٥].

---

(١) التطرف الفكري د/ نادي محمود حسن ص ١٠ .

(٢) انظر: التكفير، مفهومه وأخطاره – أحمد محمد بوقرين ص ٢٥، ٢٦ .

(٣) الإمام القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري، إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء، في الفقه والتفسير والحديث، والأصول، والأدب، ويلقب بزين الإسلام، ولد سنة ٣٧٦هـ – ٩٨٦م، وتوفي سنة ٤٦٥هـ – ١٠٧٤م، من أهم مؤلفاته: الرسالة القشيرية، شرح أسماء الله الحسنى، التحبير في التذكير . انظر: معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة ٦/٦ .

(٤) سورة الجاثية الآية (٢٣) .

(٥) انظر: لطائف الإشارات – تفسير الإمام القشيري ١١٦/٣ تحقيق / إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط. ثالثة .

٦ – التعصب: من الأسباب التي تحمل الإنسان على الغلو والتطرف: التعصب للشيء، لأن من تعصب لشيء دافع عنه، ونصره بحق أو بباطل يقول ابن منظور: والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم، على من يناويهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، والعصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة[١]، ولا شك أن التعصب في غير حقه مذموم ومردود، لأنه يعكس الحقائق ويقلب الحق باطلاً والباطل حقًا.

٧ – الاعتماد على الأحاديث والأقوال الضعيفة والموضوعة والواهية: حيث إن بعض الفرق والأشخاص والجماعات قد بنت مذاهبها الفكرية على الأحاديث والأقوال الضعيفة والموضوعة، كي تبرر مذهبها الفكري والعقدي، مما كان سببًا في ظهور التطرف والغلو في الدين من ناحية، وتكفير من يخالفها في هذه الأفكار والمعتقدات من ناحية أخرى، وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بما نراه في هذه الأيام من كذب، ونقل لما لم يكن لدى أقوام يحدثون بما لم يسمعوا، ويهرفون بما لم يعرفوا، حيث قال – صلى الله عليه وسلم –: « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»[٢]

٨ – غربة الإسلام في بلاده: لقد عانت البلاد الإسلامية والعربية بصفة عامة أثناء فترة الاستعمار الغربي لها لعملية تغريب للمبادئ الدينية والثقافية والاجتماعية، حيث اصطنع الاستعمار الغربي من بني جلدتنا وأهلنا أعوانًا له لتحقيق أهدافه ومخططاته الاستعمارية، وقام بتغذيتهم بالمال والسلاح والعتاد، وبث في عقولهم وأفكارهم حركة الجهاد والمعارضة والتكفير لكل من يخالفهم، أو يحاول أن يثنيهم عن تحقيق أغراضهم، وما نراه من عمليات تقتيل أو تفجير أو تكفير، ما هو إلا ثمرة هذا الاستعمار القديم،

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٦٠٦/١ الناشر: دار صادر بيروت ط. ثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) الحديث: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ١٢/١ رقم ٧، مقدمة الإمام مسلم، باب: في الضعفاء والكذابين، ومن يرغب عن حديثهم.

يقول الشيخ محمد الغزالي: وقد انضم إلى الهجوم العسكري على الإسلام هجوم ثقافي يتسلل خفية إلى السرائر والعقول مليئًا بالدس والختل، وجبهة الهجوم تشمل الآن أطراف العالم الإسلامي وصميمه، وتتذرع بكل شيء لتدمير العقائد الإسلامية، وإهالة التراب على معالم الإسلام كلها، وهنا في خطة الصليبية الغربية، يأتي دور المساندين من الداخل الذين يجب عليهم أن يسهموا في ضرب الإسلام، وكسر شوكته ومنع دولته[1].

(1) انظر: قذائف الحق – محمد الغزالي ص ٨ ط. دار القلم، دمشق ط. الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

المطلب الثاني

أثر الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث

في الحقيقة أن الغلو والتطرف في العصر الحديث قد نجمت عنه عدة آثار سلبية منها ما هو عقدي، ومنها ما هو سلوكي وهذه الأمور يمكن إجمالها فيما يلي:

١ – اختلاف الأمة وافتراقها شيعًا وأحزابًا:

لقد لاحظنا على مر التاريخ، كيف تحزبت كل فرقة غالية، وصارت لغيرها من الأمة قالية، وكيف تسمت بأسماء مخالفة، وهذا ما انتقل إلينا برمته في العصر الحديث، فما نشاهده اليوم من الفرق والأحزاب والجماعات المؤتلفة، والمختلفة، ما هو إلا ترديد لهذا الأسلوب الغالي القديم الذي أخبر عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: « إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ تَفَرَّقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»[(١)][(٢)].

٢ – الإلحاد في الدين:

لقد أدى الغلو والتطرف قديمًا وحديثًا إلى الإلحاد في الدين وتغيير السنن والشرائع التي أشار إليها الشرع من أجل تبرير الفكرة الخاطئة ومحاولة فرضها من قبل الشخص الغالي أو الفرقة الغالية ومن أهم صور هذا الإلحاد ما يلي:

---

(١) الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢١٨/١ رقم ٤٤٣ كتاب: العلم، فصل: في توقير العالم .

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١٣٨/١ وما بعدها، مقالات الغلو الديني واللاديني د/ محمد عمارة ص ٥٤ وما بعدها، جذور التكفير من الخوارج إلى دعاة الإرهاب د/ ناصر الدين الميلي ص ٤ وما بعدها، بوابة الشروق، الرأي

١ – ادعاء بعضهم أن الحجة في القرآن فقط دون السُنة .

٢ – التصريح من بعضهم بأن الوحي يترل على الأئمة بعد النبي –صلى الله عليه وسلم.

٣ – ادعاء العصمة لغير النبي بما يعني في الحقيقة أن النبوة لم تنقطع .

٤ – تحريف معاني القرآن الكريم باسم التأويل، كي تتناسب مع أقوالهم وأفعالهم .

٥ – القول بتحريف القرآن الكريم .

٦ – الكذب على النبي – صلى الله عليه وسلم – والتمسك بالأحاديث الموضوعة والمكذوبة .

٧ – عبادة الله تعالى بالبدع[١] .

٣ – الإعراض عن الدعوة بالحكمة إلى العنف والقتل:

يعد هذا الأثر من أهم آثار الغلو التي أصابت المجتمع وفتكت به قلبًا وقالبًا فتكًا مباشرًا، حيث تعلل هؤلاء المغالون ببعض الآثار التي وردت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وشرحوها شرحًا خاطئًا، وحاولوا تطبيقها تطبيقًا جائرًا وخاطئًا كي يحققوا أهدافهم، وأغراضهم المريضة ومن هذه الآثار قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٢] .

ولقد تصادف أن اجتمع سوء فهمهم لمثل هذا الحديث، وجهلهم كيفية تطبيقاته الصحيحة مع عصبيتهم ضد المنكرات الشائعة في المجتمعات فأثمر ذلك صدامًا مع الناس، وولاة الأمور، تطور إلى مواجهات مباشرة وحروب مستعرة، فلم يتحصل لهم من

---

(١) انظر: التطرف الفكري د/ نادي محمود حسن ص ١٦، ١٧، ظلامية التطرف الإلحادي والديني/ فهد الأحمر/ موقع الوطن/ الأحد١٤ مايو ٢٠١٧ – ١٨ شعبان ١٤٣٨ه .

(٢) الحديث: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٦٩/١ رقم ٤٩ كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان .

مقصودهم شيء، بل زاد البلاء بإراقة الدماء[١]، هذا ومن المعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، وكل واحد من الأمة بقدر قدرته، وهو من أعظم العبادات، ومن الناس من يكون ذلك لهواه لا لله، وليس لأحد أن يزيل النكر بما هو أنكر منه[٢].

٤ – تشويه صورة الإسلام لدى غير معتنقيه:

لقد كان لسلوك الغلاة والمتطرفين بالغ الأثر في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في بلاد العالم وصارت الفكرة السائدة لدى كثير من غير المسلمين عن الإسلام أنه دين العنف والقتل، وصار اسم الإسلام في عصرنا هذا مرتبطًا عند هؤلاء بالإرهاب، مما سبب نفورًا عند الكثيرين من الناس عنه، ولقد كان من نتيجة هذا أيضًا سوء معاملة المسلمين المقيمين في بلاد الغرب من أنظمة تلك البلاد وشعوبها[٣].

٥ – تنفير الناس من العبادة والتشديد فيها:

من المعلوم أن الإسلام دين يسر لا مشقة في كل تكاليفه الشرعية التي أمر أتباعه بأدائها فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [٤] ولكن للأسف الشديد يظهر الغلو والتشدد من بعض الأفراد على الناس في العبادة، مما يسبب نفورًا عنها، أو على الأقل عدم أدائها على الوجه الأكمل، والأفضل، وهذا بلا شك غير

---

(١) انظر: مقالات الغلو الديني واللايني د/ محمد عمارة ص ٧ وما بعدها، موقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام، التطرف الفكري د/ نادي محمود حسن ص ١٣، ١٤ .

(٢) انظر: مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ص ٥٧٩ تحقيق / عبد المجيد سليم، محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السُنة المحمدية، موقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام .

(٣) انظر: أثر الإرهاب في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي – للشيخ عبد الحق التركماني ص ٥ وما بعدها رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة، بحث مقدم إلى المؤتمر الإسلامي العالمي، مكافحة الإرهاب ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

(٤) سورة الحج الآية (٧٨) .

موافق للمشروع والمطلوب[١].

٦ – انتشار ثقافة اللعن والسب والقذف:

لقد كان أيضًا من آثار الغلو وثمراته السيئة على المجتمع المعاصر انتشار ثقافة السب واللعن، وذلك لأن كل مخالف عند الغلاة مباح عرضه، غير آثم لاعنه، بل عند بعضهم لعنه واجب، ومن لم يلعنه فهو مثله، وهذه الثقافة التي انتشرت عند الغلاة في العصر الحديث ما هي إلا امتداد للثقافة القديمة التي كانت لدى غلاة الخوارج والشيعة، يقول الإمام الشوكاني[٢]: ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجرؤ على شتم الأعراض المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن، ويسب أفظع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة، وأحقر جدال، وأقل اختلاف، ولعل سبب هذا – والله أعلم – أنه لما تجرؤا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم فكل شديد ذنب يهون ما دونه [٣]، وثقافة الغلاة هذه تزرع بلا شك بذرة العداء والبغض، فلا يثق أحد بأحد، ولا يأمن أحد لأحد، فتكثر الاختلافات والمشاحنات التي نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عنها، وعن أن تكون من صفات المؤمنين حيث يقول: « لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ»[٤]، وما أجمل ما رواه أبو هريرة عنه – صلى

---

(١) انظر: مظاهر اليسر في عبادة العمر– كمال عبد المنعم محمد خليل– شبكة الألوكة ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

(٢) الإمام الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الملقب ببدر الدين الشوكاني أحد أبرز علماء أهل السُنة والجماعة وفقهائها ومن كبار علماء اليمن ولد في اليمن سنة ١١٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ – ١٨٣٤م، من أهم مؤلفاته: نيل الأوطار، البدر الطالع، فتح القدير في التفسير، إرشاد الفحول، أدب الطلب، ومنتهى الأدب، السيل الجرار، دفع البأس
انظر: معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة ٥٣/١١ .

(٣) انظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب للشوكاني ص ١٩٥ – ١٩٦، تحقيق / عبد الله يحيى السريحي، الناشر دار ابن حزم، لبنان – بيروت، ط. أولى ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في سننه – تحقيق / أحمد شاكر ٣٥٠/٤ رقم ١٩٧٧، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة ط. ثانية ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م الناشر: مصطفى البابي الحلبي، مصر .

الله عليه وسلم – حين قيل له: « يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[١] .

ومن أقواله – صلى الله عليه وسلم – التي تحذر من السب واللعن قوله: « لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»[٢]، وقوله – صلى الله عليه وسلم –: « أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[٣] .

٧ – يعد أيضًا من آثار الغلو والتطرف على سبيل الإجمال ما يلي :

أ – مفارقة الجماعة وشق عصا الطاعة .

ب – الضلال عن هدي الكتاب والسُنة والتدين بالبدع .

ج – اختلال الموازين واضطراب المفاهيم .

د – التصادم مع الحكومات والسياسات والشعوب .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٢٠٠٦/٤ رقم ٢٥٩٩ كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ١٥/٨ رقم ٦٠٤٥ كتاب الآداب، باب ما يُنهى من السباب واللعن .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٧٩/١ رقم ٦٠ كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر .

المطلب الثالث

الإحصائية العامة للغلو والتطرف في العصر الحديث ،وعلاقته بالتطرف الديني.

لابد وأن يتقرر من البداية أن مشكلة الغلو والتطرف ليست مشكلة محلية مقتصرة على بلد واحد، بل هي مشكلة عامة تشمل جميع أرجاء العالم، والمشكلة مطروحة على الساحة في كثير من البلدان الإسلامية، لكنها تتفاوت في الحدة، فهي في بعض البلدان أكبر وأظهر من البعض الآخر، وهذا يعود إلى قلة العوامل المنتجة لهذه المشكلة وضعفها فى كل بلد من البلاد الإسلامية، ونحن في بلادنا لسنا بدعاً من الناس، بل وقع الغلو والتطرف في بلادنا، وفى العالم كله، وخاصة في هذه المرحلة التي نعيشها، وهذا يعنى أن العوامل العالمية المشتركة، هي الأظهر في أحداث الغلو، أما عن مسألة النظر المحلى الخاص لعوامل الغلو والتطرف مع أن الحدث عالمي، ففيه نوع من الظلم والإجحاف. [1] ولكي يتحدد حجم الغلو والتطرف في العصر الحديث لا بد من استعراض بعض تيارات الإرهاب في العالم بصفة عامة، واستعراض حجم تيارات الغلو في العالم الإسلامي على وجه الخصوص، وليس المراد بهذا الاستعراض عمل إحصائية دقيقة إذ أن هذه الإحصائية صعبة المنال لأمرين: وهما: عدم توفر المصداقية في الإحصاءات المعلنة، وصعوبة أو استحالة الحصول على إحصاءات موثقة للجماعات المتهمة بالغلو في العالم الإسلامي .

هذا وقد ذكرت إحدى الدراسات التقريبية لحجم الغلو والتطرف في العالم بصفة عامة أن هناك حوالي ٣٧٠ منظمة إرهابية تتمركز في ٦٣ دولة وتباشر نشاطها في ١٢٠ دولة، وتختلف هذه المنظمات فمنها منظمات تنطلق من منطلق عرقي ومنها ما تنطلق من منطلق ديني، ومنها ما تنطلق من منطلق عقدي سياسي، ومنها ما أسس من أجل الجريمة فقط.

---

(١) انظر: الغلو مفهومه، وخطره: عبد الله بن عبد العزيز، قضايا تربوية، موقع مداد ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ

وقد شنت المنظمات الإرهابية في العالم عام ١٩٨٢م / ٧٩٤ عملية إرهابية دولية وقع ضحيتها أشخاص كثيرون، وقد وقع ٤٣ ٪ من هذه العمليات في دول أوروبا الغربية، ووقع في أمريكا اللاتينية ٢٢٪، وفي الشرق الأوسط ١٥٪، وفي الولايات المتحدة ٦٪ منها، ويتضح من هذه الإحصائية أن العمليات الإرهابية التي وقعت في الشرق الأوسط الذي هو المحور الذي تظهر فيه تيارات الغلو تعد ١٥٪ من الحوادث التي وقعت في العالم، وإذا علمنا أن معظم هذه الأعمال الإرهابية التي وقعت في المنطقة ذات صلة بإحدى قضايا وهي: الحرب العراقية الإيرانية، والاحتلال اليهودي لفلسطين، صراعات لبنان، هذا بالإضافة إلى الأحداث السورية، وإذا علمنا أن معظم العمليات الإرهابية الواقعة في المنطقة في الغالب انعكاس لهذه القضايا، تأكد لنا أن حجم الغلو في الدين يعد ضعيفًا في مقابل الإرهاب العالمي[١] .

وبناءً عليه يمكن القول إن الغلو والتطرف الاعتقادي يعد جزءًا يسيرًا من أنواع الغلو والتطرف السائدة في العالم والتي تتمثل في الاتجاهات السياسية والعرقية والقبلية .... إلخ، وبهذا يتأكد أيضاً أن الغلو والتطرف الديني الموجود في العالم الإسلامي على وجه الخصوص يعد جزءًا ضئيلاً إذا ما قورن بباقي الاتجاهات الغالية والمتطرفة الموجودة في جميع أنحاء العالم، كما سبقت الإشارة، هذا بالإضافة أيضًا إلى أن الإسلام نفسه يرفض هذه الاتجاهات المتطرفة التي تنتسب إلى الإسلام، ويعلن تبرءه منها علانية، وبناءً عليه يجب تبرئة ساحة الإسلام من هذه التهم التي توجه إليه والتي من بينها تهمة «أن الإسلام دين الإرهاب والتطرف ».

هذا والجدير بالذكر أيضاً أن من الإحصائيات الحديثة التي تؤكد ما سبق ذكره، تقرير مؤشر التطرف العالمي الصادر في ديسمبر ٢٠٢٠م، والذى يتناول تطور النشاط

---

(١) انظر: الإرهاب والعنف السياسي د / أحمد جلال عز الدين ص ١٠٦ وما بعدها، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ١٩٨٦م، الدبلوماسية والإرهاب الدولي، مجلة الدراسات الدبلوماسية ص ١٥٠ نقلاً عن الغلو في الدين – عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ١٣٥، ١٣٦ .

الإرهابي في العالم خلال عام ٢٠١٩م، وجزء من عام ٢٠٢٠م، حيث يرتب هذا التقرير دول العالم حسب درجة تأثرها واستهدافها بنشاط التطرف والإرهاب، ويرتب المؤشر الدول الأكثر تأثراً بالتطرف والإرهاب تبعاً لعدد الهجمات الواقعة داخل الدولة، وعدد الضحايا والمصابين في كل هجوم، وحجم الدمار الذى يصيب المنشآت، وقد اعتبر هذا العام أن الدول الأكثر تأثراً بالتطرف والإرهاب هي أفغانستان، ثم العراق، ثم نيجيريا، ثم سوريا، ثم الصومال، ثم اليمن، ثم باكستان، ثم الهند، ثم جمهورية الكونغو الديمقراطية، ثم الفلبين، كما وضح التقرير أن مصر تأتى في المركز الرابع عشر.([1])

والملاحظ من خلال هذه الإحصائية السابقة، أن تصنيف الدول الوارد فى التقرير يقوم بدرجة كبيرة، على نوع من أنواع التطرف، وهو التطرف السياسي، وليس التطرف الديني، وذلك لأن من يطالع أحوال الدول الواردة في مقدمة التقرير يجد أنها غير مستقرة من الناحية السياسة، هذا بالإضافة إلى وجود خلافات وصراعات داخلية بينها على السلطة، ومن خلال هذه الإحصائية يتأكد أيضاً – كما سبقت الإشارة – أن مسألة الغلو والتطرف ليست قاصرة على الدول العربية فقط، أو على الدول الإسلامية على وجه الخصوص، بل هي ظاهرة عامة في جميع أنحاء العالم ولا تقتصر على عرق دون آخر، مما يبرء ساحة الإسلام من التهم التي تلقى عليه جزافاً والتي من بينها: أنه (دين التطرف والإرهاب) كما سبقت الإشارة.

يقول أحد الباحثين: إذا اتضح أن ظاهرة الغلو عند المسلمين في العصر الحديث مضخمة ومهولة، وهي في نفس الوقت يرفضها الإسلام نتساءل لماذا هذا التضخيم والتهويل مع وصف الإسلام والمسلمين بصفة عامة بأنهم ارهابيون ومتطرفون؟ إن هذا التضخيم والتهويل يرجع في الأصل إلى الإعلام الغربي الذي أعطى المشكلة أهمية كبرى،

([1]) مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية/ رابحة سيف علام/ خبيرة / مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، ١٠/ ١٢/ ٢٠٢٠م

وحجمًا أكبر مما هي عليه في حقيقة الأمر، وترجع أسباب هذا إلى ما يلي :

١ – إرضاء نزعة الحقد الموجودة عند الغرب ضد الإسلام وأهله .

٢ – تضليل الرأي العام العالمي حتى لا يتعاطف مع المسلمين وقضاياهم

٣ – تبرير السلوك الشاذ الذي يمارسه بعض الغرب، مثل مساعدة دولة في محاربة العرب والمسلمين فكأنهم يقولون إن هذه الدولة هي واحة الحرية والسلام وسط هذا العالم المتوحش المتطرف .

٤ – تخويف وتأليب الحكومات والشعوب في العالم الإسلامي ضد الإسلام بصفة عامة باعتبار أنه خطر داهم عليها، ويتميز وبالتطرف والإرهاب.

٥ – تخويف الحكومات والرأي العام الغربي من دعاة الإسلام بصفة عامة، وإحياء العداوة الموجودة في النفوس ضد المسلمين باعتبار أنهم مصدر يهدد أمن الغرب، ويقف حائلاً ضد رخائه [١] .

ومن هنا يتأكد أن الإسلام برئ من هذه التيارات التي التصقت به سواء أكان عن قصد أم عن غير قصد، وهو في نفس الوقت يرفض الأفكار والمعتقدات التي تقوم عليها هذه التيارات المتطرفة ويحاربها .

---

(١) انظر: المسلمون والعصر د/ إدريس الكتاني ص ٧٦ نقلاً عن الغلو في الدين د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٨، ١٤٩.

المبحث الخامس

مظاهر غلو وتطرف خوارج العصر الحديث ،والعلاج الأمثل له

المطلب الأول: مظاهر غلو وتطرف خوارج العصر الحديث (الدواعش) [١]

على الرغم من أنه قد مر على أفكار الخوارج أكثر من ألف عام، وناقش المسلمون أصحابها، بل قاتلوهم عليها، لدرجة أن بقيت أصداء تلك المعارك في كتب التاريخ، وكتب العقائد والفرق صامدة مدة حتى الآن، إلا أن الجماعات الإرهابية المعاصرة «الدواعش» نفخت في ذلك الرماد من جديد، وأصبحنا نرى لهم فتاوى عجيبة في التكفير وإراقة الدماء المعصومة، وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله المنصور، وهو أحد علماء العراق المعاصرين بعضًا من صور التكفير التي يذهب إليها تنظيم «داعش» ومنها:

١ – التوسع الفاحش والفهم الخاطئ لقاعدة(من لم يكفر الكافر فقد كفر).

٢ – تكفير جميع أعيان من ينتسب لبعض الأجهزة الحكومية، وبما أن التكفير عند هؤلاء لا ضابط له، فقد يتوسعون فيكفرون أي موظف في الدولة.

٣ – خروج أي قيادي من سجون الاحتلال الأمريكي يعد عندهم ردة عن الإسلام، ذلك أن الصليبيين لن يخرجوه إلا إذا باع دينه في نظرهم .

٤ – يكفرون أي أحد من الإسلاميين إذا دخل الانتخابات .

٥ – مجرد الجلوس مع الأمريكيين في العراق للهدنة يعتبر ردة .

وقد حرم غلاة التكفير المعاصرون المشاركة في البرلمانات، والانتماء إلى الأجهزة

---

(١) الدواعش: هو تنظيم مسلح يتبع فكر جماعات السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه – حسب اعتقادهم – إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتطبيق الشريعة، ويتواجد أفراده وينتشر نفوذه بشكل رئيسي في العراق وسوريا وبعض الدول العربية الأخرى.

انظر: حقيقة الطائفية، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٠ موقع واي باك مشين .

الأمنية، بل حتى الدخول إلى الجامعات والوظائف العامة في الدولة، وحرموًّا العضوية في هيئة الأمم المتحدة، ومحكمة العدل الدولية، واعتبروا كل ذلك من مظاهر الكفر، والشرك بالله[١]، ويرى الدواعش أنه لا بد من وجود بلدان إسلامية خالصة على طريقة الخوارج التي يسعون لها، ويتكلمون في أمور سياسية بحتة، وهم يختبئون تحت زي الدين الذي يستعطفون به الناس، فيبدأ الداعش، من خوارج عصرنا هذا، بتوزيع صكوك الإسلام الوهمي الذي يرونه ويعتبرون فيه جميع المسلمين مرتدين عن طريق الصواب، فمن تصدى لهم ووقف في وجههم أنهالوا عليه بالشتائم والتكفير، وليس هذا فقط، بل إنهم ينكرون الأحاديث الشريفة التي تأمر بطاعة ولي الأمر، ويطعنون فيها كيفما أرادوا[٢]

هذا واستدلال الدواعش بالنصوص الشرعية لا يدل على فهمهم لها، أو صحة استدلالهم بها، فضلاً عن صحة منهجهم، أو سلامة معتقدهم وليست عبادتهم هي التي تغر المسلمين فحسب، بل شعاراتهم، وما ينادون به، من محاربة الطواغيت، أو إعلان الخلافة، أو المطالبة بتحكيم الشريعة، ونحو ذلك، لا يدل على صحة التدين، أو سلامة المنهج من الانحراف، بل هو حق يراد من وراءه باطل، وأغراض أخرى، وهو في نفس الوقت يلتقي مع المبادئ والأسس التي استندت عليها الخوارج قديمًا، مما يؤكد وحدة المنهج والهدف[٣].

يقول أحد الباحثين: إن سر التشابه ين آراء الخوارج وآراء المعاصرين يتضح في: التشابه في المناخ الفكري: وذلك لأن الظروف الفكرية التي عاشها كلاً من الخوارج والمعاصرين من أهل الغلو متشابهة من بعض الجوانب، وخصوصًا في الجانب الفكري،

---

(١) جذور التكفير من الخوارج إلى دعاة الإرهاب د/ ناصر الدين الميلي – بوابة الشروق الإلكترونية ٢٠١٧/١٢/٢٥م.

(٢) مقال للحر بن سعيد العامري ١٩ أغسطس ٢٠١٤م موقع البيان الإخباري .

(٣) لماذا انخدع الناس بالدواعش – موقع القبس الإلكتروني – إشراف / موسى الأسود ١٨ يوليو ٢٠١٩م .

فكلا الفريقين يتسم بسمة واضحة، وهي الجهل الذي أشار إليه النبي – صلى الله عليه وسلم بقوله: « يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم »، كما أن التطور الفكري للفريقين متقارب، حيث بدأ الغلو بالتكفير، ثم تطور إلى آراء غالية أخرى، فالخوارج قديمًا لم يلتقوا على مبادئ معينة، بل رفعوا في البداية شعارات التفوا حولها، كقولهم لا حكم إلا لله، وتكفيرهم لمقاتليهم، واستباحة قتلهم وقتلهم، ومن خلال ممارساتهم تكونت للخوارج آراء عامة حول المشكلات التي أثاروها، أو كانوا طرفًا في إثارتها، كمشكلة الإمامة، ومشكلة مرتكب الكبيرة، والحكم عليها كفرًا وإيمانًا، والتشابه في المنهج الفكري: وذلك لأن المنهج الفكري الذي استعمله الفريقان للوصول إلى الحقائق متشابه بدرجة كبيرة، وهو في الغالب يقوم على المغالطة والمكابرة، والتعنت، وعدم الاستماع أو الإنصات للطرف الآخر، وهذا مما يجعل آراءهم متشابه، وتتماثل في كثير من الأحيان[١]، ولقد كان أول من وصف «الدواعش» واتهمهم بأنهم «خوارج» المنظر السوري أبو بصير الطرطوسي في عدد من رسائله، حيث كتب رسالة في ٤ يوليو ٢٠١٤م بعنوان «شرعية إمارة المتغلب» قال في خاتمتها، وكأنه يلوح بهذا الإتهام: والخوارج الغلاة رغم تمكنهم في تاريخهم من تأسيس بعض الإمارات الخاصة بهم، إلا أنه لا يُعرف عن أحد من السلف الصالح أنه قد دخل في موالاتهم وطاعتهم، أو أنه بايع أميرًا من أمرائهم أو دعى إلى مبايعته وطاعته، وإنما كان الموقف منهم في اتجاه واحد لا غير، وهو قتالهم ورد عدوانهم، وخطرهم عن الأنفس والحرمات، ولكنه صرح بهذه الصفة بعد أسابيع منها في رسالة بعنوان (الخوارج الدواعش) بعد تفجير مساجد وقبور المسلمين في نينوى العراقية في ٢٧ يوليو ٢٠١٤م [٢] .

والجدير بالذكر أنه بعد أن أعلن تنظيم داعش الخلافة في يونيو ٢٠١٤م بشهرين أصدر المفتي العام ورئيس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بيانًا وصف فيه

---

(١) انظر: دراسة الفرق في تاريخ الإسلام د/ أحمد محمد جلى/ ص ٤٥ وما بعدها.

(٢) قمة الخوارج بين داعش والقاعدة د/ هاني نسيره – جريدة الشرق الأوسط الاثنين ٢٨ ديسمبر ٢٠١٥م.

التنظيم المتشدد بالخوارج، أما الأزهر فوصف مقاتلي داعش في بيان في مارس ٢٠١٥م بأنهم خوارج وبُغاة يجب على ولاة الأمر قتالهم، فهم لا يختلفون شيئًا عن الخوارج الذين تمردوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – واتهموه بالكفر[١] .

ومن هنا يتأكد أن الفكر الغالي المشوه هو الذي أنتج دواعش عديدة عبر التاريخ الإسلامي، والصراع على سلطة الخلافة هو الذي ولد حركات وشخصيات داعشية منذ مشركي مكة، ومرورًا بالخوارج، ووصولاً بدواعش العصر الحديث، فالداعشية الحديثة أسقطت القناع عن كل هذا الماضي، لأنها هي تمثل التعبير الفكري الجمعي لفئة من المسلمين نشأت في أجواء التعصب، والتخلف الديني والاجتماعي، ولأن الداعشية هي نتاج فكري متأصل عند هذه الفئة، إن تمظهر الخلافة بهذا الشكل الممارس يوميًا هو تشويه للفكرة الإسلامية التي تُنَظّر لخلافة أبعد ما تكون من قيم الإسلام السمح وأصول القرآن المحكمة، وهو تشويه للدلالات القرآنية، لذلك إن تحقيق الخلافة بهذا الشكل الذي يمارسه داعش على جماجم الفقراء والبسطاء من أمتنا، من أي دين أو مذهب أو ملة، وبالشكل الفاشي والدموي لتنظيف الشريعة من أصالتها وقيمها هو منطق الجبريين[٢] الذين يبررون كل هذه الجرائم عبر التاريخ بلا إرادة واعية، وبلا خلفية أخلاقية إنسانية، لذلك تجب إعادة النظر في هذه العقيدة التي ترفع الدواعش عبر الزمن وتجعلهم في موقع السلطة والسطوة، عقيدة تقوم على سحل الناس بالطرقات، وجلدهم بالساحات والاعتداء على أعراضهم وكرامتهم تحت حجة إقامة الحدود، لقد قدمت الناس قرابين زهيدة مقابل لا شيء سوى الدماء والهدم لكل شيء من مجمعات،

---

(١) هل داعش خوارج أم سُنة ؟ بقلم خالد الغالي – موقع ارفع صوتك ١٤ أكتوبر ٢٠١٦م .

(٢) الجبرية: هي فرقة كلامية تنسب إلى الإسلام، وتؤمن بأن الإنسان مسير ولا قدرة له على اختيار أعماله، ولذلك يعتبرها علماء السُنة من الفرق الضالة المخالفة لمنهج أهل السُنة، وهذه الفرقة تنسب إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الذي توفى سنة ٧٤٦هـ .
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٨٥/١ وما بعدها .

وجامعات، ومصانع، ومعامل، والحجر، والبشر، وكل المعالم التاريخية للأمة، حقًا إن الداعشية شبيهة بالصهيونية[١] التي دمرت الحضارة وشعوب هذه المنطقة من العالم، بل زادت وغالت حتى أن الإنسان البدائي يخجل مما يقترفه هؤلاء [٢] .

وعلى هذا يمكن القول: إن دواعش العصر الحديث الذين يجوبون الأرض فسادًا وعدوانًا، ويعتدون على المقدسات والمجتمعات، والشعوب هم بعينهم الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب قديمًا وكفروه، وهم بعينهم الخوارج الذين يكفرون أصحاب المعاصي من أمة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهم بعينهم الخوارج الذين يسبون ويلعنون كل من يخالفهم، وهم بعينهم الذين يجوزون الخروج على الحكام ويكفرونهم، وأخيرًا: هم أيضًا بعينهم الذين تبرءا منهم الإسلام والمسلمين ومن أفعالهم وأعلن أن ما يفعلونه أو يقولونه لا يلتقي مع الإسلام لا من قريب ولا من بعيد .

---

(١) الصهيونية: هي حركة سياسية يهودية ظهرت في وسط وشرق أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر ودعت اليهود للهجرة إلى أرض فلسطين بدعوى أنها أرض الآباء والأجداد، وقد ارتبطت هذه الحركة بصورة كبيرة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث، والذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم بأسره .

انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية – سعود بن عبد العزيز الخلف ص ١٥٠ ط. رابعة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض – المملكة العربية السعودية .

(٢) دواعش العصر الحديث للشيخ عفيف النابلسي – جريدة البناء .

المطلب الثاني: العلاج الأمثل للغلو والتطرف في العصر الحديث

لقد كان من روعة الإسلام وعظمته أن جعل لكل داء دواء، ولكل علة علاج، والحكمة هنا هي أساس العلاج؛ لأن المعالجة دون حكمة لا تثمر إلا مزيدًا من استفحال العلة والداء، وخاصة مع هذا التيار الذي يحاول أن يفتك بالشعوب والمجتمعات والمؤسسات، ومن الأمور التي يمكن أن تكون علاجًا ناجحًا لهذا التيار المتطرف ما يلي:

١ – نشر العلم الشرعي مع التأكيد على تزكية النفوس والتربية الإيمانية وذلك بأخذ العلم عن الأكابر المشهود لهم بالفقه والربانية، يقول الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: «ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم »[١].

٢ – إتباع نهج سلف الأمة، خاصة وأن النبي – صلى الله عليه وسلم –أخبر بافتراق أمته، وقد أبان عليه الصلاة والسلام سبيل الهدي في ظل الافتراق والاختلاف فقال: « وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة هي الجماعة »، وفي رواية «هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[٢] .

١ – التلقي عن العلماء، لأن العلماء هم الواسطة بين العامة، وبين العلم، ولذلك أوجب الله تعالى سؤالهم: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] وقال – صلى الله عليه وسلم –: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا

---

(١) التطرف أسبابه وعلاجه د/ عادل حرازي – رابطة العلماء السوريين أحد مكونات المجلس الإسلامي السوري ١٧ أبريل ٢٠١٦م .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سورة النحل الآية (٤٣) .

فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١] [٢].

٢ – الحوار الهادئ الحكيم مع الغلاة المتطرفين، انطلاقًا من قول المولى – عز وجل –: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [٣]، وقد حفظت لنا كتب الحديث الشريف والتاريخ نماذج رائعة من الحوار الحكيم، ومن ذلك محاورة ومناظرة علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس – رضي الله عنهم – مع الخوارج حيث أثمرت هذه المحاورة ورجع منهم عشرون ألفًا، وبقي منهم أربعة آلاف .

٣ – استقراء شبهات الغلاة ودعاويهم وتلبيساتهم أو الأمور الملتبسة عليهم، وتتبع مقالاتهم، ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم، والتعرف على رؤوسهم ومرجعياتهم، ثم الرد عليهم بالحجة والبرهان الشرعي[٤].

٤ – طرح برامج وخطط علمية مدروسة، ومحددة ومبرمجة بعناية ومخصصة لعلاج ظواهر الغلو والتطرف .

٥ – استنهاض همم العلماء والدعاة والمفكرين والمربين للإسهام في حل المشكلة، وتخفيف آثارها، والحد من انتشارها .

٦ – فتح باب الأمل في هداية الناس، والقيام بالوظيفة المقدسة المهجورة، وهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بدون تركيز على ذنوب العباد وأخطاءهم، وذلك لأن ذلك يورث في القلب يأسًا من صلاحهم، وقد حذرنا النبي ﷺ من

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ١/٣١ رقم ١٠٠ باب: كيف يقبض العلم

(٢) الغلو في الدين – جماعة عباد الرحمن – موقع الكتروني، منهج السلف الصالح وحاجة الأمة إليه – صالح بن فوزان الفوزان ص ١٠ وما بعدها، ط. الآجري .

(٣) سورة النحل الآية (١٢٥) .

(٤) انظر: تفكيك ثقافة الغلو د/ عبد الكريم بكار ص ١٠٥، دار رؤية للثقافة والإعلام، التكفير ومفهومه وأخطاره – أحمد محمد بوقرين ص ٧٠، ٧١ .

ذلك فقال: «إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس فهو أهلكُهم»[١] وقد ضبطت «أهلكُهِمُ» بضم الكاف، أي أشد هلكًا، وبفتح الكاف: أي جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا على الحقيقة، ولكن طريقته تؤدي إلى الهلاك[٢] .

٧ – منع التطرف المعاكس، وذلك لأن التطرف الديني قد يكون ردة فعل للتطرف المعادي للدين، من العلمانيين، والليبراليين، وغيرهم، فهجوم هؤلاء على ثوابت الدين، واستهزائهم بأهله والغيورين عليه قد يولد الغيرة التي تتحول عند البعض بعد ذلك إلى غلو وتطرف، فواجب المجتمع إذًا حاكمًا ومحكومًا أن يعمل على محاربة هذا التطرف المعاكس، وأن لا يسمح لمثل هؤلاء المتطرفين ببذر بذور الفتنة بين المجتمعات الإسلامية .

٨ – الاهتمام بالشباب في المراحل الأولى، لأنه من المعلوم أن الإنسان يتأثر بما يتعلمه في صغره، بل أن ثقافة المرء الأخلاقية والعلمية، وتصوراته الفكرية التي يكتسبها في شبابه تظل معه غالبًا في مرحلة الكهولة والشيخوخة، ومن هنا تأتي أهمية الاعتناء بتربية الشباب، وتعليمهم، وغرس الأسس، والقيم والمفاهيم الصحيحة في عقولهم ووجدانهم[٣].

٩ – عزل الغلاة وهجرهم، حيث يأتي الهجر والعزل للغلاة كعلاج وقائي، وذلك بعد عدم جدوى الحوار والمناقشة معهم، وعدم رجوعهم عن أفكارهم وأفعالهم وأقوالهم .

---

(١) موطأ الإمام مالك بن أنس ١٤٣٣/٥ باب ما يكره من الكلام رقم ٣٦٠٧/٨١٤ / تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط. أولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، الناشر: مؤسسة زايد ابن سلطان، أبو ظبي– الإمارات.

(٢) انظر: التطرف وأسبابه وعلاجه د/ عادل حرازي – رابطة العلماء السوريين، الغلو في الدين د/ الصادق عبد الرحمن الغرياني ص ١٦٧ وما بعدها، دار السلام للطباعة والنشر ط. ثانية ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

(٣) انظر: المتطرفون – جميل أبو العباس زكير ص ١١٣ وما بعدها ط ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م دار النخبة للطباعة والنشر، قيادة الوطن والاهتمام بالشباب – أحمد المغلوث موقع الجزيرة الإلكتروني الأحد ٢١ يناير ٢٠١٨م .

ولذلك كان ابن مسعود يقول: من أحب أن يكرم دينه، فليعتزل مخالطة السلطان، ومجالسة أصحاب الأهواء، فإن مجالسهم ألصق من الجرب [١].

وعن الحسن البصري أنه قال: « لا تجالس صاحب هوى، فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك»[٢].

ثم إن الهجر قد يؤدي بهؤلاء الغلاة إلى مراجعة أفكارهم، ومناهجهم ومن ثم الرجوع عنها[٣]، هذا ويجب أن يعلم المغالي والمتطرف أن الإسلام هو دين الوسطية والسماحة واليسر، ورفع الحرج والمشقة، وهو الدين الذي أكمله الله، ووضع فيه شرائع الدين والدنيا، وقد كان من الشرائع والمبادئ التي وضعها فيه، رفض الغلو، والتحذير منه، لشدة خطره وسوء عاقبته .

يقول ابن القيم: ودين الله بين الجافي عنه، والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد[٤]، ويقول أيضًا: « ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه »[٥]، هذا وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة تحذر من الغلو والتطرف والالتزام بحدود الله وما قننه وشرعه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ

---

(١) انظر: البدع لابن وضاح – تحقيق/ عمرو عبد المنعم سليم ١٠١/٢ رقم ١٢٧ باب النهي عن الجلوس مع أهل البدع، وخلطهم والمشي معهم ط. أولى ١٤١٦هـ الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة مكتبة العلم – جدة.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٠١/٢ رقم ١٢٨ باب النهي عن الجلوس مع أهل البدع .

(٣) انظر: الغلو، الأسباب والعلاج د/ ناصر عبد الكريم العقل ص ١٤ وما بعدها .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ٢٠٧/٣ تحقيق / عبد العزيز بن ناصر الجليل، ط. أولى ١٤٢٣هـ دار طيبة للنشر والتوزيع .

(٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١١٤/١ تحقيق/ محمد حامد الفقي ط. ٢٠١١م دار الكتب العلمية.

ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [١]، وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [٢]، وقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [٣]، **وتبقى الإشارة أيضًا أن المرجع فيما يقاس به الغلو هو: شريعة رب العالمين فكل اعتقاد أو فعل تجاوز حدود المشروع فهو من الغلو، وإن كان في حدود المشروع فليس غلوًا، حتى وإن سماه الناس كذلك** [٤] .

فالمسلم يحيط به سياج من الشرع يحميه، ويمنعه من الغلو، والضلال والشطط وهو مأمور بأن يعرف ويفهم حدود الشرع، وأن يسير عليه بدون إفراط أو تفريط .

---

(١) سورة النساء الآية (١٧١) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢٩) .

(٣) سورة هود الآية (١١٢) .

(٤) انظر: الغلو في الدين – د/ عماد الدين خيتي ص ٢، ٣ .

الخاتمة

أحمده سبحانه وتعالى، وأشكره على عونه وتوفيقه وسداده، الذي جعلني أخرج هذا البحث بهذه الصورة المتواضعة .

وبعد :

فمن خلال البحث في موضوع (الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث « ظاهرة التكفير نموذجًا») يمكن صياغة بعض النتائج، والتوصيات التي انتهيت إليها من خلال معايشتي لهذا البحث، ومعالجة قضاياه .

أولاً: نتائج البحث:

١ – أن الغلو والتطرف قديم قدم البشرية، ويرتبط ظهوره، ووجوده وتطوره بالمجتمعات البشرية على مر العصور .

٢ – أن أول غلو عقدي ظهر في الإسلام كان على يد الخوارج والغلاة .

٣ – أن التطرف الفكري والعقدي نتاج اختلال في فكر الإنسان وعقله، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراته للأمور .

٤ – أن الغلو في الدين هو مجاوزة الحد، وهو مذموم في الشريعة، أما التطرف فهو أعم منه وأوسع .

٥ – أن الغلو والتطرف المتمثل في تكفير المسلمين وقتلهم، وحمل السلاح عليهم، هو بعينه أسلوب ومنهج الخوارج الذين كانوا على عهد الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – .

٦ – أن الفهم السيئ لمسائل الأسماء والأحكام، ولآيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – كان من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور التطرف والغلو في الإسلام .

٧ – أن المغالين والمتطرفين قد فارقوا جماعة المسلمين وأئمتهم، وذلك لأنهم خرجوا عن منهج السُنة، وقلبوا حقائق الأمور، واستحلوا دماء المسلمين الأبرياء .

٨ – أن نسبة الغلو إلى الدين، تجوز في العبارة، وتجني على الدين، وذلك لأن الغلو وقع في أسلوب التدين، لا في الدين نفسه.

٩ – أن الغلو والتطرف يتغذى في بعض الأحيان على الأخطاء والتجاوزات الاجتماعية والسياسية، ويجعلها مبررات كي يستند عليها، دون المساهمة في حلها سلميًا .

١٠ – على الرغم من تنوع الغلو إلى اعتقادي وعملي، إلا أن الغلو الاعتقادي أشد فتكًا وخطرًا من العملي، وذلك لأنه يمس العقيدة من الدرجة الأولى .

١١ – أن فكرة تكفير الأفراد والمجتمعات، تعد من أخطر مظاهر الغلو الاعتقادي، وذلك لأنها تنقل الإنسان من دين إلى دين، وبالتالي فإن المغالين يجرون عليه أحكام الدين الآخر ظلمًا وعدوانًا .

١٢ – لقد أجمع علماء المسلمين قديمًا وحديثًا على أنه لا يجوز تكفير أي مسلم إلا إذا أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو أعلن صراحة خروجه عن الإسلام .

١٣ – أن داهية التكفير ودعاتها عادت بشدة هذه الأيام، وانتشرت بين الشباب وتحقق أهدافها عن طريق إقصاء الآخرين.

١٤ – أن آثار الغلو والتطرف مدمرة للأفراد والجماعات، وما نلاحظه من حقد وعداء، وتشاحن وتقاتل، وتفسيق وتكفير، يعد من آثارها وثمارها.

١٥ – أن ما يحدث الآن من تقتيل وترهيب وترويع وتفجير من قبل الدواعش وغيرهم من الجماعات الجهادية المتطرفة والخارجة، أمر ينكره الإسلام والمسلمون، وتنكره العقول، والأفهام، وهو في نفس الوقت يلتقي في المنهج، والأسلوب، والغاية مع منهج وأسلوب الخوارج الذين ظهروا قديمًا، مما يؤكد أنهم امتداد لهم، ولفكرهم السقيم .

ثانيًا: أهم توصيات البحث:

١ – نشر فكرة وسطية الإسلام واعتداله، مع حماية العقيدة وتثبيتها في قلوب الشباب وعقولهم، ومساندتها بالحجة، والبرهان .

٢ – محاربة البدع، والخرافات والسلوك الضار الذي نراه كل يوم في واقعنا الاجتماعي .

٣ – دراسة أسباب الغلو في كل مجتمع دراسة عميقة وواعية، من أجل الوصول إلى حل جذري لها .

٤ – على العلماء أن يبينوا لهؤلاء الغلاة أن تكفير المسلمين، أو إزهاق أرواحهم بغير حق جناية عظمى، لا يرضى الله عنها ولا رسوله، وتودي بفاعلها المهالك .

٥ – على العلماء أن ينشروا الفهم الصحيح، من خلال التأليف والنشر، والخطب، والمحافل .

٦ – العمل على تقريب المسافات بين العلماء والحكام، وبين العلماء والشباب، كي تتوحد الجهود، وتتحقق الثقة بين الأطراف، ويسود الأمن والأمان وتزول الفتن والبدع .

٧ – ينبغي أن تكون المعركة مع الغلاة في المقام الأول توعوية، ويجب أن ننجح في هذه المعركة، من أجل صون الحياة الإسلامية العامة، من التدمير الشامل، الذي يوجده الغلاة والمتطرفون حيث حلوا .

٨ – ينبغي أن يكون علاج الغلو وفق خطة مدروسة، وخطوات منظمة روحها الحكمة والحلم، وألا نلجأ إلى القوة إلا إذا فشلت الطرق السلمية، في علاجهم، وردعهم .

وختامًا .. أرجو من المولى – عز وجل – أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون قد أدى الغرض المطلوب، وأن يكون نواة أو حلقة في سلسلة الدفاع عن الإسلام، وقيمه وثوباته، وأن يجعله في ميزان حسناتي .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم: جلَّ من أنزله .

١ – الإبانة على تعليقات الإمام الحافظ أبي عيسى الترمذي لأبي محمد عبد المنعم علي – الناشر: دار اللؤلؤة مصر ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

٢ – أبجديات البحث في العلوم الشرعية د/ فريد الأنصاري، منشورات القرآن. ط ١٩٩٧م.

٣ – أبو زرعة وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١٩٧/١ تحقيق / أحمد بن سعد بن حمدان، الناشر: دار طيبة – السعودية ط. ثامنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

٤ – الاتجاهات التعصبية – معتز سيد عبد الله، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون – الكويت ١٤٠٩هـ.

٥ – أثر الإرهاب في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي – للشيخ عبد الحق التركماني، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة، بحث مقدم إلى المؤتمر الإسلامي العالمي، مكافحة الإرهاب ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

٦ – الأحكام السلطانية للماوردي، مطبعة الحلبي، ط. أولى ١٩٦٦م.

٧ – أدب الطلب ومنتهى الأدب للشوكاني، تحقيق / عبد الله يحيى السريحي، الناشر دار ابن حزم، لبنان – بيروت، ط. أولى ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.

٨ – أربعين صفة من صفات الخوارج موقع رفقة الحديث وعلومه.

٩ – الإرهاب والعنف السياسي د / أحمد جلال عز الدين، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ١٩٨٦م .

١٠ –الإسلام والآخر – أحمد الجهيني، محمد مصطفى، ط . مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

١١ –الإسلام وظاهرة العنف د/ أحمد كريمة، شركة الدلتا اليوم للصحافة ط. ثانية ٢٠١٥م.

١٢ –الإسلام وقضايا العصر د/ إبراهيم الدبو، د/ كايد قرعوش، دار المأمون للنشر والتوزيع .

١٣ –أصول السُنة للإمام أحمد بن حنبل، الناشر: دار المنار – السعودية ط. أولى ١٤١١هـ .

١٤ –أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي، مع منتخبات اختارها – عبد المنعم صالح العلي، دار البشير للثقافة والعلوم، ط. أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٥ –الاعتصام – للشاطبي تحقيق / سليم الهلالي – الناشر: دار ابن عفان، السعودية ط. أولى ١٤١٢هـ .

١٦ –الأعلام – للزركلي الناشر: دار العلم للملايين ط . ١٥ سنة ٢٠٠٢م.

١٧ –إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم، تحقيق / محمد حامد الفقي ط. ٢٠١١م دار الكتب العلمية .

١٨ –اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية – تحقيق / ناصر عبد الكريم العقل ط. أولى ١٤٠٤هـ .

١٩ –البدء والتاريخ – ابن طاهر المقدسي، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد – مصر .

٢٠ –البدع لابن وضاح – تحقيق / عمرو عبد المنعم سليم، ط. أولى ١٤١٦هـ الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة مكتبة العلم – جدة .

٢١ –التطرف أسبابه وعلاجه د/ عادل حرازي – رابطة العلماء السوريين أحد مكونات المجلس الإسلامي السوري ١٧ أبريل ٢٠١٦م .

٢٢ –التطرف الديني في إيران – رعد عبد الجليل، دار الصحوة للنشر ط. أولى ١٤٠٨هـ .

٢٣ –التطرف الديني، الرأي الآخر – د / صلاح الصاوي، الآفاق الدولية للإعلام.

٢٤ –التطرف الفكري – د / نادي محمود حسن، أبحاث ووقائع المؤتمر العام السابع والعشرين .

٢٥ –التطرف وأسبابه وعلاجه د/ عادل حرازي– رابطة العلماء السوريين.

٢٦ –تفسير الخازن – علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تحقيق / عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية .

٢٧ –تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق / محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان . ط . أولى ١٤١٩هـ .

٢٨ –تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار المكتبة العصرية، القاهرة ط. ثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

٢٩ –تفسير المراغي، للشيخ / أحمد مصطفى المراغي، تحقيق / باسل عيون السود، دار الكتب العلمية .

٣٠ –تفسير الوسيط أ . د/ محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة – القاهرة، ط. ثالثة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٣١ –تفكيك ثقافة الغلو د/ عبد الكريم بكار، دار رؤية للثقافة والإعلام.

٣٢ –التكفير والهجرة وجهًا لوجه – رجب مختار، مكتبة الدين القيم، القاهرة. ط. أولى ١٤٠٥هـ .

٣٣ –التكفير وجذوره د/ نعمان عبد الرازق، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٤ –تهذيب الكمال – المزي، مؤسسة الرسالة بيروت . ط . أولى ١٩٨٠م .

٣٥ –همة الخوارج بين داعش والقاعدة د/ هاني نسيره – جريدة الشرق الأوسط الاثنين ٢٨ ديسمبر ٢٠١٥م.

٣٦ –الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف – علي بن عبد العزيز بن علي الشبل.

٣٧ –جذور التكفير من الخوارج إلى دعاة الإرهاب د/ ناصر الدين الميلي – بوابة الشروق الإلكترونية ٢٠١٧/١٢/٢٥م.

٣٨ –جذور التكفير من الخوارج إلى دعاة الإرهاب د/ ناصر الدين الميلي بوابة الشروق، الرأي.

٣٩ –جمهرة اللغة – أبو بكر محمد بن دريد الأزدي تحقيق / رمزي منير بعلبكي – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ط. أولى ١٩٨٧م.

٤٠ –حاشية الجوري للإمام عبد القادر الجوري على شرح الخيالي على شرح العقائد للإمام التفتازاني، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .

٤١ –حقيقة الطائفية، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٠ موقع واي باك مشين.

٤٢ –الحكم بغير ما أنزل الله – محمد سرور بن نايف، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ط. أولى ١٤٠٧هـ .

٤٣ –حوار لا مواجهة، دراسات حول الإسلام والعصر، د/ أحمد كمال أبو المجد، سلسلة مجلة العربي العدد السابع ١٥ أبريل ١٩٨٥م.

٤٤ –دارسات في الفرق والعقائد الإسلامية د/ عرفان عبد الحميد. ط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط. أولى ١٤٠٤هـ.

٤٥ –دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية – سعود بن عبد العزيز الخلف، ط. رابعة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض – المملكة العربية السعودية .

٤٦ –دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام الخوارج والشيعة – د / أحمد محمد جلي،

مركز الملك فيصل للبحوث – الرياض – السعودية ط. أولى ١٤٠٦هـ .

٤٧ –ذكرياتي مع جماعة المسلمين، التكفير والهجرة – عبد الرحمن أبو الخير، ط. دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ط. ثانية – الكويت ١٩٨٠م.

٤٨ –سنن ابن ماجة – تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء الكتب العربية .

٤٩ –سنن الترمذي– تحقيق / أحمد شاكر ط. ثانية ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م الناشر: مصطفى البابي الحلبي، مصر

٥٠ –السنن الكبرى للبيهقي – تحقيق / محمد عبد القادر عطا، ط. ثالثة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٢م، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٥١ –سنن النسائي تحقيق د/ عبد الفتاح أبو غدة ط. ثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا.

٥٢ –شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق د/ عبد الله عبد المحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان .

٥٣ –شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط. ثانية ١٣٩٢هـ .

٥٤ –الصحاح للجوهري، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين – بيروت، ط . رابعة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

٥٥ –صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق / محمد زهير بن ناصر، الناشر: دار طوق النجاة ط. أولى ١٤٢٢هـ .

٥٦ –صحيح مسلم – للإمام مسلم، الناشر: دار إحياء التراث االعربي.

٥٧ –الغلو في الدين – جماعة عباد الرحمن – موقع الكتروني .

٥٨ –الغلو في الدين د / عبد الرحمن بن مُعلا اللويحق، ط. خامسة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م مؤسسة الرسالة .

٥٩ –الغلو في الدين د / عبد الله بن صالح الكنهل شبكة الدرر الشامية.

٦٠ –الغلو في الدين د/ الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار السلام للطباعة والنشر ط. ثانية ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

٦١ –الغلو في الدين د/ علاء الدين خيتي، هيئة الشام الإسلامية ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

٦٢ –الفتاوى لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، مطابع الرياض – السعودية، ط. أولى ١٣٧٢هـ.

٦٣ –فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، الناشر: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .

٦٤ –فتح البيان في إعجاز القرآن – صديق حسن خان، الناشر: عبد الحي علي محفوظ، القاهرة، مصر ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

٦٥ –الفرق بين الفرق للبغدادي، ط. ثانية ١٩٧٧م، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

٦٦ –الفصل في الملل والنحل لابن حزم، مكتبة السلام العالمية .

٦٧ –الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة .

٦٨ –فقه السُنة – السيد سابق، الفتح للإعلام العربي، القاهرة .

٦٩ –قذائف الحق – محمد الغزالي، ط. دار القلم، دمشق ط. الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٧٠ –قيادة الوطن والاهتمام بالشباب – أحمد المغلوث موقع الجزيرة الإلكتروني الأحد ٢١ يناير ٢٠١٨م .

٧١ –الكامل في التاريخ لابن حجر، ط. أولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الناشر: دار

الكتاب العربي – بيروت .

٧٢ –كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، منشورات دار الأرقم .

٧٣ –كتاب الطبقات الكبير – ابن سعد، تحقيق د/ علي محمد عمر، مكتبة الخانكي ٢٠٠٢م .

٧٤ –كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي – الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٧٥ –كتاب الفتن والملاحم، ط. أولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٦ –لسان العرب لابن منظور، الناشر: دار صادر بيروت ط. ثالثة ١٤١٤هـ.

٧٧ –لطائف الإشارات – تفسير الإمام القشيري، تحقيق/ إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط. ثالثة .

٧٨ –لماذا انخدع الناس بالدواعش – موقع القبس الإلكتروني – إشراف / موسى الأسود ١٨ يوليو ٢٠١٩م .

٧٩ –المتطرفون – جميل أبو العباس أكبر، ط ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م دار النخبة للطباعة والنشر .

٨٠ –محاضرات في التوحيد للشيخ صالح موسى شرف ،المؤسسة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة.

٨١ –مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ،تحقيق / عبد المجيد سليم، محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السُنة المحمدية، موقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام .

٨٢ –مدارج السالكين لابن القيم ،تحقيق / عبد العزيز بن ناصر الجليل، ط. أولى ١٤٢٣هـ دار طيبة للنشر والتوزيع .

٨٣ –مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق / محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، ط. ثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٨٤ –مظاهر اليسر في عبادة العمر – كمال عبد المنعم محمد خليل – شبكة الألوكة ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

٨٥ –معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت.

٨٦ –المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة .

٨٧ –معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩٨م .

٨٨ –المفاهيم الأساسية لمنهج التربية الإسلامية د/ علي أحمد مدكور، الرياض، دار أسامة للنشر والتوزيع .

٨٩ –مقالات الغلو الديني واللاديني د/ محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، ط. أولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

٩٠ –الملل والنحل للشهرستاني ١٧٣/١، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٩١ –الملل والنحل للشهرستاني صححه وعلق عليه أ / أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٢ –منهج السلف الصالح وحاجة الأمة إليه – صالح بن فوزان الفوزان، ط. الآجري.

٩٣ –الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي تحقيق الشيخ / عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر. ط. ثانية ١٣٩٥هـ.

٩٤ –المواقف في علم الكلام– القاضي الإيجي، عالم الكتب – بيروت.

٩٥ –هل داعش خوارج أم سُنة ؟ بقلم خالد الغالي – موقع ارفع صوتك ١٤ أكتوبر ٢٠١٦م .

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٥١٠
أسباب اختيار الموضوع: ٥١٢
الهدف من البحث:..... ٥١٣
منهج البحث: ٥١٣
خطة البحث:..... ٥١٤
المبحث الأول : التعريف بالغلو والتطرف، وأنواعه، وجذوره ٥١٦
المطلب الأول : التعريف بالغلو والتطرف، والعلاقة بينهما ٥١٦
المطلب الثاني : أنواع الغلو والتطرف ٥٢١
المطلب الثالث : جذور الغلو في الدين ٥٢٥
المبحث الثاني : أهم مجالات الغلو العقدي (ظاهرة التكفير) ٥٢٩
المطلب الأول: جذور ظاهرة التكفير..... ٥٣٠
المطلب الثاني : ظاهرة التكفير بين الماضي والحاضر..... ٥٣٢
المبحث الثالث : أهم مظاهر الغلو في التكفير ٥٣٥
المطلب الأول: ظاهرة التكفير بالمعصية مطلقًا..... ٥٣٦
المطلب الثاني، ظاهرة تكفير الحكام ٥٤٣
المبحث الرابع : أسباب الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث، وأثره..... ٥٤٦
المطلب الأول: أسباب الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث..... ٥٤٦
المطلب الثاني : أثر الغلو والتطرف الاعتقادي في العصر الحديث..... ٥٥١
المطلب الثالث : الإحصائية العامة للغلو والتطرف في العصر الحديث، وعلاقته بالتطرف الديني. ٥٥٦
المبحث الخامس : مظاهر غلو وتطرف خوارج العصر الحديث، والعلاج الأمثل له ٥٦٠
المطلب الأول: مظاهر غلو وتطرف خوارج العصر الحديث (الدواعش) ٥٦٠
المطلب الثاني: العلاج الأمثل للغلو والتطرف في العصر الحديث ٥٦٥
الخاتمة ٥٧٠
فهرس المصادر والمراجع..... ٥٧٣
فهرس الموضوعات..... ٥٨١